أحمد سلمي

ساكني الكهوف

رواية

١ السكارى

ساكني الكهوف

الجزء الأول: السكارى

أحمد محمد سلمي

رواية

ساكني الكهوف
الجزء الأول: السكارى
رواية
أحمد محمد سلمي

إصدار: أكتوبر ٢٠١٨

رقم الإيداع
2018MO5486

الترقيم الدولي
978-9920-790-58-1

الغلاف والإخراج الفني:
دار لوتس للنشر الحر

مشروع النشر الحر
رقم الإصدار: (٩٨)

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف ولا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأية طريقة دون موافقة المؤلف أو دار النشر

كل ما ورد بهذا الكتاب مسئولية مؤلفه من حيث الآراء والأفكار والمعتقدات، وكونه أصيل له غير منقول، وأية خلافات قانونية بهذا الشأن لا تتحملها دار النشر

منشورات دار لوتس للنشر الحر
شركة لوتس للإنتاج والتوزيع
القاهرة الكبرى:
١٦ شارع محمد موسى متفرع من أول شارع فيصل بجوار محطة مترو فيصل
هاتف: ٠١٠٩١٩٨٥٨٠٩ – ٠١١١٦٣٨٩٣٤٧
الإسكندرية:
٦ شارع بن دينار – محرم بك – امبروزو
هاتف: ٠١٠٦٨٦٣٨٣٧٧
المغرب: الدار البيضاء
٢٧٠ زنقة ١٦ – حي البركة – مولاي رشيد
هاتف: ٠٦٦٤٣٩١٢٦١

مشروع النشر الحر
أول مشروع من نوعه يمنح الكاتب كافة الحقوق، والحرية الكاملة لنشر كتابه بدون احتكار لمجهوده في عملية تجارية.

للتواصل مع الدار والمشروع
هاتف / واتس آب:
+2 01116389347 - +2 01091985809
الموقع الإلكتروني:
www.lotusfreepub.com
البريد الإلكتروني
Lotusfreepub@gmail.com
حساب فيسبوك
www.facebook.com/lotusfreepub1
صفحة فيسبوك
www.facebook.com/lotusfreepub

إهداء

إلى عائلتي وأصدقائي وإلى كل المدركين

لي أن أختار واحداً من اثنين:
البقاء في مكتب البريد حتى أجن تماماً،... أو البقاء هنا في
الخارج لتمثيل دور الكاتب والتضور جوعا.
لقد قررت أن أتضور جوعا

بوكوفسكي

مُقَدِّمَة

أنت الآن على وشك الدخول إلى عوالمي، هل تعتقد أنك جدير بذلك؟!

لا يهم.

ولكن وجب على تحذيرك فأنت بعد قرأة كتابي لن تجد طريقك للخروج من عوالمي أبداً فأنت سوف تمسي أسيراً لخيالاتي، قد تكرهني وتلعنني كل صباح ستجعلني عدوك اللدود وربما الأوحد وقد أصبح كاتبك المفضل لثلاثين عاماً قادمة، لا وسط هنا.

إذا أردت أن تفهم قصتي فما عليك سوى إتباع الخيوط والعلامات التي تركتها لك في رسائل على هيئة كتابات حتى تصل إلى تلك القصة قصتي قبل الأخيرة.

وأما إذا بغيت المتعة فقط فلتذهب لتلك القصة مباشرة وأنا أضمن لك أن تحظى بجرعة هائلة من المتعة ولكن حينها ستعود لكتاباتي ساعيا لجمع علاماتي وستحاول ربط خيوطي ولكنك لن تتمكن من هذا أبدا وستتوه في متاهة خيالاتي وهذا جزاء من يخالف قواعدي.

أنت الآن داخل عوالمي إذا فلتخضع لرغباتي ولتخشع لإرادتي.

من أنا؟!

أنا الوجه الخفي لمجتمعك

أنا جانبك المظلم

أنا أحد ساكني الكهوف.

لا تخجلوا أيها الموهوبون، فلتظهروا شغفكم للعالم، لا تدفنوا حب الإبداع داخل نفوسكم، فتصبح نورها ظلاما، من يريد أن يظهر موهبته لشعب سكارى العظيم فما عليه سوي أن يصعد مسرح قلعة المبدعين.

قطر الندى

عواء الحرية

ألم تصادفي ذئبا قط، هل تحدثت لأحدهم يوما؟ حسناً أنت تفعلي ذلك الآن، نعم أنا ذئب، حسبك لا تجزعي فلن أغدر بك في نهاية المطاف.

انصت إلى اصغ بإتقان الآن سأخبرك حكايتنا نحن معشر الذئاب.

قبل ملايين السنين قبل بعث بني إنسان، كان لا يسكن الأرض سوى الحيوانات، العالم عباره عن غابة كبيرة تشقها الأنهار شقا وما غير ذلك فكان عبارة عن أرض قاحلة جرداء لا زرع فيها ولا ماء ينفى لها كل من تسول له نفسه مخالفة قانون الغاب.

حكم جمع الحيوانات معشر الذئاب، الذئاب لا يأكلون الجيفة لا ينكحون محارمهم لا يتزوجون بعد موت زوجاتهم وكثير من الصفات الراقية لسنا بصدد ذكرها الآن، دمائهم ملكيه خالصه فلم يحكم الغابة غيرهم أحداً ولم يجرؤ أي حيوان التفكير في ذلك وكانوا محبوبين عادلين يمتازون بالدهاء والشجاعة والنبل.

كان لملك الغابة ملك الذئاب فتاة لم ينجب سواها أميرة الوكر، ولية عهد الذئاب، امتازت بالجمال والذكاء، ونادرا ما تجتمع الصفتان في فتاة ولكنهما وجدا في أميرتنا.

نعم عزيزتي، أرى ما يجول في خاطرك، أستشعر أفكارك، لن أتركك وسط تساؤلاتك كثيرا تعانين الحيرة، فهذه ليست قصة قطر الندى والغجري المجنون، سأكشف لك حقيقتهم الآن.

قوم الأسود واحدة من تلك العائلات الذين امتازوا بالقوة بجانب

الفيلة والنمور والديناصورات ولكنهم كانوا الأكثر ثراءا وغني، أتعلمين كيف جمعوا كنوزهم؟ اشتهرت إناثهم بالعمل في الدعارة، جمعوا كنوزهم من عرق عاهراتهم.

كيف أصبحوا ملوكا؟

إنها القصة القديمة المعتادة، سأختصرها لك، فأنا لست من عشاق تلك الحكايات، خطيئة العشق أصابت أميرة الذئاب، أغراها ليث فأحبته وكالعادة استطاعت إقناع عشيرتها بأن يتم ذلك الزواج، بعد ذلك رزق ليث والأميرة بابنهم غول، بعد عمر توفيت الأميرة وتلاها ليث بنفس المرض ربما، تملك الشيب من الملك وحانت ساعته وقبل وفاته أوصى بملكه لحفيده غول.

غول الذي تميز بقوة الأسود وحنكة وحكمة وعدل الذئاب وكذلك سرعتهم، كان خير خلف لخير سلف، فقد كان ملكاً صالحاً بحق ولكن ما أرقه دائما هو تطفل بني عمومته على شئون الحكم وكأنهم يبغون شيئا لم يتيقن منه بعد ولكنه دائما ما تصدي لهم ولطمعهم، نقلت أوراق الشجر تهامس القردة أنه نشب خلاف حاد بين الملك غول وقومه الذئاب، وفي خلال ساعات أصبح الشغل الشاغل لجميع الحيوانات هو متابعة أخبار الخلاف وماهي عواقبه فما يحدث جديد على تاريخ شعب الغاب، في صباح اليوم التالي أعلنت القردة أخبار اغتيال الملك غول أثناء عودته من رحلة صيد عن طريق الخونة الذئاب.

في الآونة الأخيرة لم يشاهد الأسود وأبناء عمومتهم الضباع، ظنوهم آثروا الصمت عندما علموا بأخبار الخلاف أو هكذا أشاع القردة، اجتمع كل الحيوانات من كل حدب وصوب حتى

ينظروا في أمر الخيانة، الكلاب وحدهم من أخذوا صفنا فقد كانوا ومازالوا في الوفاء آية، صاح قائدهم أي خلاف تتحدثون عنه والملك غول كان في رحله صيد خارج حدود المملكة ولكن لم يأبه بصراخه أحد أو ربما تجاهلوه لسبب ما، آثر الذئاب السلامة لنفسهم ولشعبهم وأعلنوا تركهم الملك، وتولى زمام الأمور بحكم قربة الدم غضنفر زعيم الأسود ابن المومس، نفانا غضنفر ولم يكتفي بذلك، طاردنا وقتلنا حتى تشردنا في الصحاري القاحلة، وباقي الحكاية أظنك تعلمين تفاصيلها.

فقد وصم قومنا عار الخيانة وأصبحنا مضرب المثل في ذلك، أشاعوا أن الكلاب حلت بهم لعنة النجاسة وأنهم نذير شؤم على غابتهم فطردوهم خارجها و..

عفوا عزيزتي حان الوقت، إننا تخطينا منتصف الليل الآن، حان وقت ما تسمونه بعواء الذئاب، صرخات الحرية، جميع الذئاب المشردين في أنحاء العالم سيصرخون الآن، لنذكر أنفسنا أننا أحرار لنذكر أنفسنا أننا ملوكا ويوما ما سنعود، لنتذكر خطيئة أميرتنا، لنبكي الأيام الخوالي.

انظري ها هو الأسد ملك الغابة يجلس في عرينه ولبؤته تصطاد، لن يتخلوا عن العادة القديمة أبدا، أعلمت الآن عزيزتي لماذا لم يستطع بشرى ترويضي وإخضاعي؟ أشاهدتني أرقص كالمهرج في سيرك من قبل؟ هل رأيتني أسجد لمخلوق يوما؟

واجه أو مت مثلهم

أرأيت قبل ذلك من تحدي ملكاً في ملكه في قلب عرينه ومملكته وليس ملكا واهيا من ملوك بني أدم؟ أبوالطيب المتنبي قد تراه مجنونا مختلا أصابه جنون العظمة، من ذا الذي يقف ندا ليصارع وحشا ويظن أن الانتصار بالإمكان إلا معتلا في عقله؟
أتعلمي عزيزتي؟ لا أراه مثلهم، أراه شجاعاً انتصر لنفسه ولفكرته وإيمانه بنفسه، تخيلي أن أبي الطيب المتنبي قد فضل طريق السلامة وسلك درب الجميع عندما يقعوا في مواجهه وحوشهم وبكل بساطه هرب، لا يجب أن يكون الوحش أبدا أسدا، ولكني أوقن أن لكل إنسان وحش قد يكون وحشك فكرة، موقف، شغف، شخص ما مثلا، لقد خلق المتنبي وحشه الخاص وعند المواجهة لم يهرب منه ولم يرفع الراية البيضاء، دائما ما كنت أراه أسوأ الألوان وأضعفها، خلق للضعفاء والمستضعفين لونا واهنا خلق للمنسحبين ليعطيهم سببا لطيفا لإعلان خيبته، أظن أنه في غياهب نفسه كان يوقن الهزيمة ولكني لا أراه أبدا خاسرا، ببساطة كان يمكنه أن يقتل الغلام ويمضي، لكن لو أنه هرب مثلنا وذهب إلى بيته وعاش بعض ذلك عشره عشرين لا بل مائة عام، الخزي والعار لن يفارقاه حتى مماته، لا ليس من الناس فأنا لا أهتم بالناس، ولكن أمام نفسه، ولا أرى جرحا أكبر من أن يفقد المرء كبريائه أمام ذاته فذلك يعتبر كسرا غير قابل للإصلاح أبدا، كيف كان سيذكره التاريخ؟ هارب جبان أفاق منافق، قد يكون قرارا واحدا

في حياتك كفيلا لأن يمنحك المجد العظمة يجعلك خالدا يجعلك كبيرا في عين نفسك على الأقل، وقد يجعلك مخادعا جبانا مثلهم. المتنبي مات سعيدا كيف لا وهو لم يأته الموت وهو نائم في فراشه بعد أن خاض حياة روتينية بلهاء خالية من المغامرة بل كان للتو يصارع ليثا، المتنبي هزم وحشه، دفن خوفه وانتصر لنفسه، زعموا أنه عاش يدعي البطولة ولكنه كان بالفعل بطلا، عاش بطلا ومات بطلا.

كتابات صبيانية عشوائية

1

لم تكن كمن عرفتهم قبلها لقد أخبرتني الحقيقة كاملة، في أول لقاء لنا لم تخفي شيئا، قالت سأكون سبب هلاكك، أنا موتك، أعجبتني صراحتها فقررت الاستمرار معها،في وقت ضيقي لم ألجأ لسواها، في فرحي كانت دائما حاضرة، شاركتني كل لحظة، أحرقت نفسها لأجلي ولم تتذمر يوما، الكثيرون يشعلونها ضيقا، الكثيرون يدخنونها لسد نقصا ما، ولكن القليلين يقبلونها حبا، كانت ومازالت من الأشياء القليلة التي أحببتها في هذا العالم ولكنها أوفاهم علي الإطلاق، نعم أنا أدخنها حبا.

2

كفاك أحلاما بلهاء يا صديقي فلن تقودك سوى للتعاسة والجنون، الشيء الذي تريده انتزعه من أحشائهم، فهنا تكمن السعادة"

3

مستقبل مظلم، شتاء ضباب رعد شاب ممسك بيد فتاه في مفترق طرق، طريق يوهمك بالتفاؤل في نهايته مع زوجه جميله يلهوان مع طفليهما في حياة روتينية مستقرة، طريق آخر حالك الظلام ليس له نهاية معروفه، سلك درب هيأ للجميع أنها النعيم، وقبل أن

يصل إلى نصف الطريق تملكه اليأس لم يكن ذلك ما يطمح إليه لم يكن ذلك ما خلق لأجله توهم ذلك، هناك أفلت يد الفتاة لتكمل بمفردها لتصبح مثل من سبقها حجر في رقعة شطرنج، وعاد إلى حيث ما قد يكون الخلاص، ليفعل ما يستحق أن يذكر ما يستحق أن يحكي عن رجل خلق لقدر مختلف، هناك حيث يسود الظلام.
الآن هو مفقود.

4

أطلقوا العنان لفجوري، اعطوني ثراء فاحشا وسلطة مطلقة، سأشتري زجاجات النبيذ المعتقة، وأضاجع ملايين المومسات، سأحرق جميع الفقراء وأصلب كل الأغنياء.

5

ملهي ليلي يعج بالسكارى، هنا رجل مسن أهانه الدهر يداعب مومس لا يقوي عليها سوي شاب جامح، خلف الستائر لا تميز رائحة المني من النبيذ، حيث شاب يضاجع فتاه لا تدري ما الذي أتى بها لهذا المكان، هنا في هذا الركن الهادئ أجلس وحيدا أدخن الحشيش مع كأس من النبيذ وأشاهد هذا المسرح الدنيوي البسيط وأتخيل كيف سيكون حالنا جميعا عندما نلتقي في الجحيم.

6

أنا لست بائس يا صديقي، بل أنت مغفل، يوما ما ستصبح واقعي، وستتذكر كم كنت أحمقا، وستلعن نسختك الساذجة، وستدعوني بالحكيم المنجم الذي رأى الغيب وحذرك منه، أنا لا أختلف كثيرا عنك يا صديقي ولكني أدركت الأمر قبلك ببضع سنوات فقط.

7

أريدك امرأة من الطراز القديم، حيث نتسكع في الطرقات سويا وارتشف النبيذ المعتق من بين شفتيك، حيث أراقصك علي موسيقي كلاسيكية كموسيقى بيتهوفن، هناك حيث أضاجعك بجانب حانة تحت المطر حيث لا يوجد سوي السكارى فاقدي الوعي المنبوذين من العالم مثلنا.

هامش الهامش

نحن جيل ولد على هامش هامش التاريخ، لن يخرج أبدا من بيننا أبطال خالدون ولا فرسان مهابون ولا علماء مبدعون، وجودنا من عدمه لن يحدث خللاً في العالم، أشعر أننا خلقنا فقط لنقف في ذلك الصف ونصفق لفنان ما عبر عن مدى بؤسنا وضعفنا، رغم علمي أنه بعد انتهاء العرض سيستقل سيارته الفاخرة ليذهب إلى منزله الفاره الذي تتجاوز مساحته مساحه حيينا وأنا سأعود أدراجي إلى حياتي الخاوية التي أمقتها بشده مواصلا بؤسي، يمكن أن يكون فنانك سياسيا، قائدا أو إعلاميا، فجميعهم في الأخير لا يجيدون سوى التمثيل، لن أؤمن يوماً أن كل من هم مثلي أكبر ما يمكن أن يصل بهم خيالهم من أحلام هو حلم إنشاء أسرة رغم يقيني بصعوبة فعلي ذلك.

في إحدى المرات النادرة التي أجلس أتحدث فيها أنا وأبي ذاك الموظف الذي يذهب لعمله كل يوم من الساعة السابعة صباحا حتى الثالثة عصرا منذ خمس وعشرين عاما ولا يفعل شيئا يذكر بقية اليوم، سألته:

– كيف تطيق حياتك هكذا؟ ألا تمل؟ أين تجد سعادتك؟

أجابني:

– يكفي أن أراك أنت وإخوتك سعداء، يكفي أن أراكم تكبرون أمامي.

لا أعلم أي سعادة تلك التي يجدها أبي عندما يرى فاسدا مثلي

يكبر وبالمناسبة لا أظن أني نشأت سعيدا، أعلنت تمردي قبل ذلك مراراً وتكراراً، لم يخسر أحد شيئا سواي لم يهتم أحد بي، لا أظن أن أحداً يأبه بوجودي أو وجودك كذلك، نحن صفحات التاريخ الملعونة تلك التي لن يفتحها أحد أبدا، وربما إن فعل فلن يجد شيئا يذكر بها، سيجدها خاوية مثلنا.

وداع كاذب

علمت أن القراءة غذاء الروح، ولكني اكتشفت أنه لكي تتغذى روحاً يجب أن تستنزف أخرى بالمقابل، لا أدعي أني كاتباً أو أصلح لذلك، ولكني حاولت، أنت من أيقظت ذلك الوحش النهم للكتابة بداخلي ولكني أشعر أني أستنزف، مرة تلو الأخري كنت أشعر أني أصبح أكثر ترويدا للحروف والكلمات، شيطاني يستيقظ الآن، صدقيني حاولت مراراً وتكرار أن أكتب تلك الأشياء اللطيفة الجميلة التي تدعوا إلى التفاؤل والبهجة والأمل، فواقعنا وردي.

هل أخبرك شيئا مضحكا؟ حاولت أن أكتب كلاماً رومانسيا، حاولت أن أناجي حبيبتي مثلا، حاولت الهروب من الواقع إلى عالم الحكايات والنهايات الخيالية السعيدة، حسنا، حسنا، سأصبح روميو وسأجعلها جوليت، ربما أضع مساحيق التلوين على وجهي لتخبئ سماري وتخفي سواد أيامي وسوف أصبغ شعري وَذقني بالصفرة أيضا، لكنهما انتحرا في النهاية، ولكن دائما ما كنت أجد نفسي عاجزاً عن كتابه تلك الأشياء المقززة.

لم أجد داخلي إلا ظلاما لا أعلم إن كنت سوياً أو أصبحت أملك نفساً مشوهه، رغم ذلك جاءتني مئات الأفكار بدأت ببخ سمومي على الورق ولكني قررت التوقف عندما شعرت أن مرض الطموح قد يصيبني ومثلي يجب أن يكون أشد حذراً من شيء كهذا، أتعلمين عزيزتي؟ لقد شعرت ببعض ما قد يوصف بالسعادة، ما

أجمل أن يهتم أحد بكتاباتك، أعلم أنك لم تهتمي أبداً ولكني أوهمت نفسي بذلك حتى أستطيع المضي قدماً، أعلم أنها لم تكن علاقة متوازنة أو مبنية على أسس، لقد كنت سيئا متطفلا وقحا وأنت تحملت ذلك أو أرغمتك على تحمل ذلك.
الآن قررت التوقف، الآن أنا ألقي وداعاً.

المصير

لا أستطيع التوقف، أظنه إدمان لا خلاص لي منه، لست قادراً على تحمل أعراض الانسحاب أظنني أصبحت ضعيفا عن ذي قبل، منذ عامان ربما ثلاث أذكر أني استطعت التوقف لإبعاد النسيان، بادلت إدمانا بإدمان، دائما كنت ولازلت أبادل الأشياء الجيدة بالقبيحة، ولدت قبيحا ووقعت مرارا في عشق كل ما حرمه البشر، اكتشفت أن مثلي كثيرون، هناك من فقد السيطرة على نفسه وانجرف وراء شهواته فكانت نهايته بئس الخاتمة، وهناك من هم مثلي لا أعرف كيف أصفهم حقا لا أعرف من أنا ولكنهم دائما ما نعتوني بالفاسد الماجن الفاشل، لا أدري هل أستحق ذلك فعلا؟

يوجد داخل كل إنسان الخير والشر، ولكن ماذا لو كان قدر السوء في نفس إنسان يفوق أضعاف أضعاف قدر الخير؟ لا يهزم السوء إلا بالأسوأ، دائما ما كنت ساديا في حق نفسي، قمت بأذيتها كثيرا غدرت بها وبأحلامها حتى أسلبها أي قوة يمكن أن تحصل عليها، أخبرتك مسبقاً أني سأتوقف وسأطلق سراح أوراقي وأحررها من سخافاتي، ولكن وقاحة نفسي دائما ما هزمتني وها أنا أعود لك بكتابتي العبثية لأواصل إزعاجك مره أخرى، ربما سأكف عن ذلك يوما ما ولكن ليس اليوم، لن أدعوك اليوم بعزيزتي ولا حتى صديقتي، فأنا في الحقيقة لا أراك كذلك وأظنك تبادليني نفس الشعور، أثقل كاهلك بذنب إيقاظ شيطاني، إيقاظ

كلماتي، فلتتحملي إذا إثم ما فعلتي، بيدك أن تختاري مصيرك يمكنك التخلص مني فأنت لست مجبرة على تحمل هذا الآن، قومي بذلك ولن يصيبك الندم أبدا.

أبناء الكذبة

لم أعد أشعر بالخوف، لم أعد أهاب الشياطين، شيطاني أيا كان ما يملكه من خبث ودهاء لم يستطع أذيتي مثلما آذيت نفسي، أظنه في بعض المرات حاول تهدئتي ونصحي لكي أعود إلى صوابي ولكنه لم يفلح، دمر نفسك حتى لا يستطيع أحد تدميرك، لم يستطع إنسان ملامسة النجوم قافزا من أعلى سطح منزله، ولكن ما رأيك أن نخوض رحلة سويا إلى باطن الأرض إلى الأرض السابعة إلى القاع أظنك بعد ذلك ستكونين قادرةً على إيجاد حيلتك وسبيلك لمعانقه السماء.

أتعلمي عزيزتي أين تكمن العلة؟ أني أحببت تلك الحياه رغم قذارتها ووضاعتها،عشقت القاع، لقد أصبحت منهم أصبحت قدوتهم ومثلهم، عندما تهمين تاركه منزلك ستجدين أمك تتضرع للمولي وتدعوا لك أن تتجنبي أمثالي، النهار لم يخلق لأمثالي ربما لأننا لا نجيد التصنع والنفاق لا نملك القدرة على مسايرة نهارهم وليس مرحب بنا فيه، بل خلق للناجحين والمجتهدين النمطيين على حد قولهم، خلق للعامة، أما نحن الملعونون نهاراً، المصطفون ليلاً، نحن أولئك الفاشلون المختلون رواد المقاهي عاشقي التبغ، نحن من نكتب أرخص القصائد ونعزف أسوأ الألحان ونقوم بأحقر الأفعال، نحن سبب هلاكهم كما يزعمون، رغم ذلك لا أذكر أني سببت ضرراً لأحد من قبل.

المشكلة الحقيقية ليست تمردنا، المشكلة أننا أدركنا حجم الكذبة

التي صنعتموها، صنعتموها فسايرتموها فعشتموها فآمنتم بها وقدستموها.
نحن ساكني الليل الهاربون من واقعكم الكافرين بعالمكم المتبرئين منكم اللاعنين لكم.
نحن أبناء الكذبة!

تمتمات (١)

كأنك مجنونا يقف في وقلب الصحراء والشمس تتوسط السماء فإذا بك تهم رافعاً رأسك منتظراً سقوط قطرات الندى، لقد ذهب فجرك يا صديقي، ولن تعيش لترى بزوغه مره أخرى، إذا أردت أن تأكل كبد الشيطان فيجب عليك أن تصير أخبث منه وأحقر، إذا بغيت قتلي فلا تأتني ليلا فإني عندها أكون في أوج جبروتي، ولن تجدني نهارا علي أي حال، البؤس من شيم الرجال، لن تصبح رجلاً طالما عينيك موجهتان صوب السماء منتظراً هطولها، ربما يصيبك العمى يوما، عش غجريا ولا تسألني لماذا، فأنا لم أكتشف الجواب بعد، لن تفهمي كلماتي ربما ستكونين قادره على فك طلاسم حروفي بعد زمن.

أتعلمين؟ سلمان البدوي لم يحب ياسمينة السكارية يوما، أظنها احتقرت ألحانه ربما أشفقت عليه، شيطاني يتمتم لي، أهي تعاويذ من نوع ما، أعلم أنه يحبني، وأنا لا أكرهه، أظنه صديقي.

أأخبرك سرا؟ لن أقص قصتي الأخيرة أبدا، أوقن أنها أعظم من أن يخطها قلمي.

تساؤلات ١

ألست أنت يا أبي من أخبرني أن جدي كان محاربا طبيبا فارسا نبيلا يدعي صلاح الدين؟ وخرج من بني جلدتنا من ركب الأمواج وذهب إلى بلاد ما وراء البحار محررا إياها من الظلم والظلام، قائدنا الطارق بن زياد؟ وأن سيفنا سيف الدين قطز قاهر وحوش التتار؟ وأن بلادنا عزيزة عصت على الغزاه لأن بها رجالا جبابرة كالجبال؟

أخبرني إذا من باع القدس من خان صدام؟

ربما كنت أستحق رثاء

لن يكتب أحدا في رثائي القصائد، لن يحزن لموتى آدمي، لن يأتي إلى جنازتي بشر من كل حدب وصوب لن يشيعني أحد، ربما لن يضعوا أكاليل الورود على قبري، لن يشعر إنسان بألم فقداني أبدا، سأنسى وكأني لم أوجد، عشت لا شيء وسأموت لا شيء مثلهم، ولدت في الظلام وسأقتل في الظلام.

تخيلي عزيزتي حجم المختلفين، كم عدد المبدعين الذين أتاهم الموت وهم يعملون في حقولهم أو وهم يجنون رزقهم من العمل في المصانع، ربما كانوا صيادين، ربما أصبحوا مجرمين، ربما ماتوا فقراء ضعفاء أو بائسين هالكين، جاؤوا وذهبوا ولم يسمح لمواهبهم أن ترى النور لم يسمع صراخهم بشر، لم تكتب قصصهم في صفحات التاريخ، لم يعلم أحد بحكايتهم، دفنت عظمتهم معهم، دفنوا ونسوا وكأنهم لم يخلقوا، لا أدعي أني أستحق أن أدعي مبدعا، تمنيت أن أحظي بفرصه فقط في وقت مضى في فجر قصتي.

عزيزتي! أظنني محظوظا، فقد كان لي قارئة، لقد حظيت بك لتكوني شاهدة علي حكايتي، على أي حال لن أكتب قصتي الأخيرة أبدا أفكر في منح تلك الحكاية لآخر.

تساؤلات ٢

ألست أنت يا صديقي من أشعلت لي أول سيجارة؟ من باركت لي أول كأس؟ أنت من شاركتني أول ذنب؟ إذا لماذا لا أراك هنا؟ أتعلم يا صديقي المكان هنا موحش أشعر بالوحدة، بالعذاب، عظامي تحترق مرارا وتكرارا، بالفعل يا ليتني كنت ترابا.
سألتك كثيراً التوقف ولكنك دائما ما أخبرتني أنه ليس الآن، أحل الآن بعدما ذهبت؟
أيعقل أنك فعلتها بعد مماتي؟ أعلنت توبتك؟

الخلق

عزيزتي! اصنعي فكرة واجعلي الفكرة تتغذى من خيالك، بعد أيام ستلد الفكرة أشخاصاً، الأشخاص سيشكلون عالما، سيخلق من ضلع العالم عوالم كثيرة مترابطة ومتشابكة، ستتواجد صراعات بين الأشخاص وكذلك العوالم، بالتالي سيصبح لك أبطال فرسان علماء وكذلك أشرار وطغاة، كل فترة اكتبي ملاحظات عن الجديد في عوالمك، ربما بعد عام ستجدين مئات الحكايات التي تصلح لأن تكتب.

ولكن احذري أن تصبحي سجينة عوالمك ربما يغريك خيالك فيتمكن منك وتأثرين بداخله.

ماذا تعني تلك الكلمة الأجنبية المنقوشة التي تزين قلمي؟

ماليكانو تعني الملك الصالح باللغة الإغريقية القديمة، هكذا أجيب أصدقائي، الحقيقة أن ماليكانو هو أحد أبرز الطواغيت، لا بل إنه الطاغية الأوحد الذي يسكن عوالمي.

البعث

أصبت بمس شيطاني؟ أم ابتليت بلعنة عشقي؟ أي ذنب اقترفت ليصبح مثواك الأخير سجن خيالاتي؟ خلقت طاهرة كقدس أبية حاول بني صهيون تدنيسها فزادها الله نقاء فوق نقائها وزينها صمودها وعزها، لا تأتني قبل منتصف الليل فترانيم عشقي لا تعزف إلا والبشر أموات، فأرواحهم تغذي ظلامي وظلامي يهلك روحي، وروحي صامدة لا تشكو مصابها، فمصابي هوى جنية من بني عفريت راودتني عن نفسها، لم ترق لي، فأبت نفسي مجاراتها فلعنتني فأصبحت كذئب نبيل غدر به أسد خبيث، فلم يعد يملك الذئب غير العواء للحرية سبيلا.

تمتمات (٢)

إذا أتيت من الشجاعة ما يجعلك تأتني ليلا فربما أحذو حذو ذاك الغجري وربما بكل بساطه أقم بقتلك.
لو أردت أن تصبح أبلس من إبليس فعليك بأن تصبح خليله.
أخبرتك مسبقاً أن البدوي سلمان لم يعشقها يوما، ربما كن لها ماهو أرقى من ذلك.
قطرات الندى لا تسقط ظهراً ولب الحقيقة أنك لن ترى فجرك يبزغ مره أخرى أبدا فقد ولي عصرك.
تلك القصة لن أجعلها رواية هي عبارة عن خاتمة فقط، لن يخط قلمي أكثر من ذلك،لقد اتخذت القرار أخيراً عزيزتي، ربما تصبح قصتك.

ليلة جميلة نعم بها شيطاني

الكلمات العظيمة تنبع من حزن عظيم، لو تزوج قيس محبوبته لما وجدت أبياته لعصرنا سبيلاً، دائما ما كانت هناك علاقة طردية بين عظمة الإبداع وشدة البؤس.

أخبرتني البارحة أنك تشعرين ببعض السوء، أظن الأجواء كانت مناسبه ليلة أمس لتطلقي العنان لإبداع قلمك، الظلام يصنع وحوشا، ألمك سيجعلك أشد قوة مستقبلاً.

عندما أخبرتني أنك شعرتي بالصدمة عندما ألقيت عليك آخر كلماتي بسبب توافق خواطرنا الليلة، تبادر إلى ذهني تلقائيا تلك الأسطورة، أي أسطورة؟!

إنها الخرافات القديمة عن وادي الجن، قديماً كان الكتاب والشعراء الأوائل يذهبون إلى وادي الجن في بلاد الحجاز لكي يحظوا برفيق من الجن يمدهم بالكلمات التي اندثرت مع الزمن من لغتنا العربية وكذلك جديد الأفكار، أظن أنه في عصرنا العفاريت هي من تأتينا وتتمتم لنا دون أن نتمكن من رؤيتها، ربما شيطاني كان يتناول العشاء مع جنيتك هذه الليلة.

سر المجنون

أخبرنا نزار أن الجبناء تزوجهم أمهاتهم، وأضفت أنا الشجعان يقتلون عشقاً، كل القصص الأسطورية التي ذكرت في تاريخ الهوى كانت إفكا ليست سوى محض كذبة، أظن أن كاتب الحب لم يحب قط.

المجنون سقط في خطيئة العشق فعلا، أيقن هذا، عانى وعذب، صلب فؤاده، في سبيل هذا خاض أهوالا، خط آهاته بدماء قلبه، أنصتنا لقصائده، شهدنا ألامه، شعرنا بها وبسكراته، ولكن أين ليلي العامرية من هذا؟

لم يصلني خبر جراحها، لم تكتب في فراقه القصائد، إنها لم ترثه ببضع كلمات حتى بعد أن قتلته علتها، ربما كانت تستعد لتزف لمحب آخر.

هل أخبرك سراً عزيزتي؟

كاتبنا اليوم يمر بليله سيئة، نعم أعلم أن جميع لياليه سيئة، لكن هذه أشد قسوة، مأساوية بكل معنى الكلمة عزيزتي، إذا أدرك ناظر نافذة غرفته سيظن أنه نشب فيها حريق هائل، قد يظنها غرفة من غرف الجحيم حطت أرضنا، أبخرة التبغ تحاوطه يزفر دخانا، بدنه أصبح حلقة لا تحوي سوى نيكوتينا وظلاما، حسنا لا يهم هو اعتاد ذلك، ربما استحقه، فلنعد لحديثنا.

ابن شداد كان فارسا عظيماً، شاعراً قويا أيضاً، ولكنه لم يكن بالمرة عاشقا جيدا، رغم ما عاناه من صعوبات لكي يحظى

بمحبوبته عبلة، نعم أعلم أن كاتب الحب خطها نهاية سعيدة، فرغم ما عاناه استطاع الظفر بفتاته.
أنسينا أم تناسينا أنه تزوج غير عبلة الكثير من النساء،وضاجع أكثر، هل عشقهم جميعاً؟
عنتره لم يهواها قط، ولم يطأ غرامها فؤاده، أظنه أراد أن تعترف به قبيلته ابنا، بغى أن يصبح فارس بني عبس الشرعي وشجاعها الأسطوري، ولكن زاده الحظ وأصبح أيضاً عاشقها الأبدي، ربما لم يكن سوى وغد، خدع التاريخ، ولكن زيفه لم ينل من عقلي شيئاً، لم يستطع أن يخدعني مثلهم.
إنه يصارع سكرات روحه، كاتبنا يستنزف، ولم يعد أمامه الكثير، يحارب لأجل بضع كلمات، الكلمات الأخيرة ربما، يصارع لكي يسطر خاتمة تلك الحكاية.
أبطال الهوى الحقيقيون لم تصلنا سيرهم، ربما تزوجوا وهزموا مخاوفهم وعاشوا في هناء وماتوا سعداء، ربما رحل أحدهم لأجل معشوقه، رحل في صمت، أكمل في عزله، قتل في ظلامه، ربما لم يعلنوا عشقهم قط وذهبوا فقط.
لم يعرف بهم بشري، لم يجعلوا من الحب فيلما رخيصا، لم يكونوا مهرجي عشق، تمتعوا بعشقهم سويا، دفنت قصصهم داخلهم معهم في قبورهم،هؤلاء هم أهل الهوى عزيزتي، جاؤوا في صمت وذهبوا في صمت.

تمتمات ما بعد الخاتمة

عزيزتي إذا كنت تقرئين هذا الآن فلتعلمي أني تمكنت من عقل أحدهم وأقنعته بنشر كتابي.
كيف هذا؟ أخبرتك مسبقاً أن كتاباتي لن يقرأها سواك، حسنا، ربما وقعتي ضحية لعملية خداع كبرى، وربما هناك سبب آخر لن يدركه إلا أنت الآن.
ربما لم تكن في جناحها ليلتها، ربما كانت هناك وفهمت مقصده وعندها دخلت إلى غرفتها واسترقت السمع من خلف الستائر.
أنا ماذا أعتقد؟
كانت في غرفتها لم تخرج لشرفتها، لم تنصت أنين عوده لم تسمع معزوفتها، أظنها كانت تضاجع أسدا تلك الليلة..
رحل

الانتظار

عندما يقودك هوسك إلى درب من الجنون.
النوم عاهد جفنيك على الخصام، مصير حلمك الأخير أصبح بين كلمتين لا ثالث لهما، الآن أحدثكم من أبشع بقعة في كوكبنا البائس، بقعة الانتظار.
من أنا؟
أنا الذي منحوه سيفا ورمحا ورموا له عصفورة منزوعة الريش وأخبروه أنه إذا تمكن من قتلها فسيحظى بالنجاح الأبدي حتى أنهم سينصبونه فارسا عليهم وحامي حمى حماهم.
ماذا فعلت؟
أبيت، لم أخلق لأقتل عصفورة خانعة خلقت لما هو أسمى، هكذا أوهمني غروري، تركتها لحال سبيلها وذهبت لعرين الأسود عصبت عيناي ورفعت سيفي وألقيت بنفسي بينهم وأعلنت التحدي.
ما مصيري؟
الإنسان الحالم إما أن يجني كل شيء أو يخسر كل شيء، المجد الخالد أو الهلاك البائد.
في صغره حدثته إحدى عرافات الغجر بنبوئه مبهمة غامضه: "درب المجد يبدأ بقتل النمطي، قتل النمطي يعني هلاكا أبديا. لا تقتل النمطي يا ولدي، لا تقتل النمطي يا ولدي، لا تقتل النمطي، لا ترحل إلى المجهول يا ولدي"

أين أنا الآن؟
أجلس في هذا المكان كما أنا منذ أيام أرتشف رشفه أخرى من كوب قهوتي وأستعد لإشعال لفافة تبغي المائة منتظرا..
السكارى

الفصل الأول

في سيرة سلمان البدوي وأميرة السكارى

أيها السيدات والسادة المعركة على وشك البدء أصبحت قريبة عن وقت مضى، لا تجعلوا ساكن الكهوف يوهمكم أنها حرب لأجل آلاف من الفدادين، ليست لأجل الجدول وليست لأجل النهر القديم حتى، إنها لأجل المفقود إنها حرب أزلية بدأت منذ دهور ولم تنتهي يوماً حتى لو توقفت السيوف يوماً عن تبادل الضربات فرماح النفوس لا تكف أبداً، الظلام شهد حروبا ومعارك أعنف وأشرس بملايين المرات من طعنات سيوف الأرض العقيمة، إنها معركة سيقودها رجلان قائدان مختلفان كليا شكلاً وشاكلة.

أولهما يتحسس طريقه نحو المجد وأيادي أشراف قومه تحيطه من كل الأركان مانعين إياه من التقدم إنه نمطي ولكن مازال هناك جزءا ضئيلا في نفسه يقاتل نمطيته، الأعيان والأشراف سيبذلون كل جهودهم لقتل هذا الجزء الضئيل وإذا لم يفلحوا فلن يتراجعون عن قتل صاحبه محمود بن حسان.

الثاني محارب ذائع الصيت يصفه الكثير بأنه من أفضل محاربي عصره، قومه يلقبونه بالأعظم، الأعظم كان أكثر المعارضين لخوض هذه المعركة ولكنه سيبذل الغالي والنفيس لأجلها،غانم المغوار لن يتزحزح للوراء أبداً.

صباحا في أرض القدامى

النمطيين القدامى أقدم ممالك الأرض وأكبرهم مساحة، المملكة الأم كما يصفها الكثير، كان حالهم قديماً أكثر استقرارا وراحة ولم يختلف الأمر كثيراً الآن ورغم ذلك البعض بدأ يدعي أنهم في طريقهم إلى الهاوية.

في السنوات الأخيرة استحوذ الأشراف والأعيان على ثروات القدامى وخيرات أراضيهم حتى أنهم أصبح لهم كلمة في شئون ومقاليد الحكم، وهذا بسبب وهن حكامهم في الآونة الأخيرة، فملوكهم أصيبوا بداء الجشع فهم يلهثون وراء ملذاتهم وأصبح شغلهم الشاغل جمع الكنوز والثروات وأدى ذلك إلى انتشار الفقر والجهل في أرجاء المملكة وكان ناتج هذا هو ظهور بعض جماعات الصعاليك والهجامة.

أثرياء القدامى لا يخشون الصعاليك فهم ليسوا إلا مجموعات من اللصوص يسعون خلف المال والطعام ولكن الهجامة بدؤوا في إثارة هلعهم، فالهجامة تتزايد أعدادهم يوما بعد الأخر ولهم أفكار ينهجونها، تعرف بوصايا المبشر.

المبشر الذي لا يعرف أحدا من هو ولم يره آدمي، حتى أفراد جماعاته لم يسبق لهم لقائه ولا يعرف إنسان كيف يتواصل هذا الغامض مع رؤساء الهجامة، ورغم أن الأشراف تتزايد ضغوطهم كل يوم على قائد الجيوش محمود بن الصمدي حسان الذي يرونه ليس كفئا لهذا المنصب لصغر سنه ولكنهم لم يستطيعوا

التصريح بهذا علانية خشية بطش أباه وعائلته، يضغطون عليه للقضاء على الهجامة، ولكن القائد كان يدرك أن هذا المبشر لابد أن يضعه في الحسبان فهو يبدو رجلا خطيرا فلقد أحاط ذاته بهاله من الغموض كما أنه لم يجمع الهجامة كلهم في جماعة واحدة فعندها ربما يسهل تعقبهم والقضاء عليهم وإنما يريد أن تقوى شوكتهم وتزيد أعدادهم قبل أن يفكر في هذه الخطوة ربما.
أما عن علاقتهم بالممالك الأخرى فالقدامى ينظرون للآخرين بدونية، ويعتبرون أن أكثر من يشكل خطراً عليهم هم عالم السكارى رغم أنهم لم تجمعهم أي حروب مع السكارى أبدا ولا ينوون هذا فالسكارى مسالمين إلى أقصى حد، ربما كل ما في الأمر هو اختلاف الثقافات فقط.
في مقر الجيوش يدخل أحد معاوني قائد الجيوش وأكثرهم إخلاصا وثقة له المحارب علي الصواف الذي يستهل حديثه:
– لقد أخبرني قاسم بمعلومات مهمة أيها القائد.
= تحدث يا علي.
– اليوم بقايا جماعة من الهجامة سيحاولون الفرار عن طريق الصحراء الشمالية التي تفصلنا عن بحر عدين متوجهين إلى الواحات وسيمكثون هناك فترة من الزمن ساعين لجمع شتاتهم وتجنيد أفراد جدد.
= هل أنت متأكد من هذه الأخبار.
– ومنذ متى وقاسم لا تصدق معلوماته إنه أحد أخلص رجالنا رغم المدة القصيرة التي قضاها بيننا أظنه وجد خلاصه معنا.

= حسناً استدعى هشام وأعدوا الرجال فلنقضي عليهم الليلة فإذا استطاعوا الوصول إلى الواحات فلن نتمكن منهم.
– سينفذ في الحال أيها القائد محمود، هناك أمر آخر، فلقد أرسل حامي الساحل رسولا للاستفسار عن حمدان ومهمته.
= أرسل لهذا المتطفل أننا اقتربنا.
قائد جيوش القدامى يحيط نفسه بحاشية كبيرة وله عشرة معاونين ومئات الحرس أكثر من أي قائد آخر ولكنه دائما ما يصطحب اثنين من معاونيه برفقته فقط، وكان أكثرهم قربا بالنسبة له صديق طفولته المحارب على الصواف والفارس هشام بن هاشم.

أوائل الليل في أرض البدو

– الآن يا غانم
– أوامرك مولاي، هل تأذن لي أنا وحارسي بالانصراف.
في مملكة البدو ملابس العامة عبارة عن جلابيب داكنة اللون في الغالب، ويختلف عنها لباس المحاربين بعض الشيء فهي عبارة عن دروع سوداء ويختلف عن ذلك زي القادة والملك فإنهم يرتدون الأبيض مع بعض الاختلاف في النقوش طبعا فهم على عكس القدامى لا يمتلكون الرخاء لكي يرتدي ملكهم ملابس مرصعة بالذهب ولا تاجا من الماس وقائد جيوشهم لا يتزين بالبرونزي ومعاونيه بالفضي وجنوده بالأحمر.
يحكم البدو ملك عادل حكيم يدعي المهيب، الحياة شاقة في تلك المملكة، الأرض صحراوية أغلبها قاحلة عقيمة، والقليل منها فقط التي تصلح للزراعه، لا يوجد بها أنهارا ولا بحيرات، ولذلك ستجد هناك الكثير من الآبار.
تمتاز بصلابة رجالها، صلابة تم اكتسابها من قسوة بيئتهم، لذلك امتازت عن كل الممالك الأخرى بقسوة محاربيها وقوتهم، ولكنهم ليسوا من تعداد الممالك الأكثر امتلاكا للمحاربين بسبب قلة قاطنيها رغم كبر مساحتها، ولكنهم كانوا الأكثر دهاءا ومكرا وذلك يرجع لجيناتهم البدوية ربما.
بسبب ندرة مواردهم كانوا يقومون بالكثير من الغزوات على الممالك والمدن الصغيرة راغبين في الحصول علي بعض الموارد،

ربما بعد ذلك تحدث معاهدة سلام، بعض الموارد مقابل بعض الخدمات، الجزية مقابل الحماية، أما عهدهم مع الممالك الكبرى فما هم سوى مرتزقة يحاربون من أجل المال، لم يكون ذلك حالهم في السابق، ولكن منذ أن حلت عليهم تلك اللعنة كما يسمونها، لعنة الأمير الفاني، وحالهم يتدهور من سيء إلى أسوء.

***

- أين ذاك الماجن أيها الحارس؟
- في خيمة السمر مع صحبته يا قائدي.
- حسناً فلتأتي بذلك البصاص ولتتبعني إلى هناك.

***

خيمة السمر يتجاوز طولها المائتا متر بقليل وعرضها ما يقارب النصف، يأتي إليها المحاربون والفرسان والجنود والرعاة وحارسي الآبار والمزارعين والشباب من كل أنحاء المملكة عندما يحل الليل للتسامر واللهو ساعيين للهروب بضع لحظات خارج عالمهم القاسي.

حسنا حسنا، أعلم مايدور في خلدك الآن، لا لن تجد تلك الأشياء أو ما شابه هناك، لا عاهرات، لا نبيذ، لا مقامرون، فتلك الأشياء من أكبر المحرمات في مملكة البدو، ولكنه يعلم طريق تلك الأشياء، ولن يخبرك دربها قط.

دخل القائد غانم المغوار إلى خيمة السمر فما كان من الجميع إلا الصمت وهم المحاربون والجنود المتواجدين بالوقوف احتراما لقائدهم عداه فقد كان مشغولا بأمور اللهو.
صوب عيناه نحوه وتحدث في صرامه.
– هيا إلى الخارج لنحظى ببعض الحديث الهام.
– ماذا يريد المغوار من مثلي، نطقها ببعض السخرية.
– سأنتظرك في الخارج بأمر الملك فلتخلف قائدك أيها المحارب.
خرج القائد وتبعه المحارب من خيمه السمر ونظر له بكل حيرة وتسائل.
– ما الأمر أيها القائد؟
– كثر من يبغون دمك، كثر من يسعون خلفك، الكل تآمر على قتلك أيها المحارب، أعلم أنك متعطش للمعركة القادمة، فأنت تجدها معركتك، فلتذهب للتخفي في مملكة السكارى، فعهدنا بملكهم عهد سلام، وقد أتممنا ترتيبات ذلك.
هكذا تحدث قائد جيوش البدو ومحاربهم الأعظم كما يلقبونه، القائد غانم المغوار محذرا المحارب سلمان.
غانم رجل في أواخر عقده الخامس، يقارب طول قامته المتران قوي البنية ذو ملامح حادة قائد صارم مهاب من قبل الجميع، ينهل منوال المحاربين القدامي فهو يتحدث كثيرا عن شرف المحارب وأشياء كثيرة مماثلة، ولكنه ينزعج كثيراً من سلمان ولكن لا يكرهه، فهو في قرارة نفسه يعلم أن المحارب الأوحد الذي يضاهيه في قوته هو سلمان بالإضافة إلى المنصور، وربما يفوقه سلمان

خبث ودهاء، ورغم أنهما اختلفا في أمر تلك المعركة بشدة، ولكن الجميع انصاع لقرار الملك في الأخير، المغوار كان يحترم سلمان كمحارب ويمقته كإنسان.

– متى موعد الرحيل؟

– الآن، هذا عبد الحميد البصاص، استدعيته ليساعدك للوصول سالما إلى أرض السكارى، اجمع أغراضك الآن وارحل بأمر الملك.

– إلى متى أيها القائد؟

– حتى يحن آن معركتك أيها المحارب فأستدعيك، فربما تصبح المعركة الأخيرة يا سلمان، لا نملك الكثير اذهب الآن.

هم المحارب سلمان ذاهبا إلى كوخه ليجمع أغراضه والقائد يشيعه بنظرات الحسرة، ماذا فعلت بك نفسك أيها الشاب العابث، هل تدرك ما أصبحت عليه أيها الخاسر، ياحسرتاه عليك تلميذي.

هكذا حدث المغوار نفسه بمراره

***

أنا سلمان بن سليم أحد أعظم محاربي البدو وأشرسهم على الإطلاق، هناك من ينكرون عني هذا ولهم دوافعهم ولا أعيب عليهم، ولكن في حضرتي يقف الجميع احتراما الكل يخشى بطشي وغدري الكل ينصت كلماتي، أعدائي كثر أضعاف أضعاف أصدقائي، تنامي إلى مسامعي أن بعضهم ينعتونني بالمحارب الخاسر، حسناً لا يهم، تبا لهم.

أحظي بحب شعبنا فرغم كثرة خطاياي فمازالت كلماتي تجد سبيلها إلى عقولهم، كسفك الدماء أنا أجيد التلاعب بالعقول أيضا وربما فقط يحالفني الحظ عندما يتعلق الأمر بكليهما، منذ مايزيد عن العام تمكنت من إقناع شعبنا وملكنا المهيب أن نخوض تلك المعركة، حسناً هو لم يمنحني ما طمحت إليه، لقد حظيت بنصف معركة وليس النصف الأهم على كل حال ولكني ارتضيت ورغم ذلك الكل يدعي أني ذاهب لهلاكي وأكثرهم يتمنى أن ينال هذا، أكثر من عارض فكرتي هو قائدنا الأعظم غانم المغوار معلمي النبيل الذي يكن لي الكثير من الكره وله أسبابه، أسبابه التي حرمتني إياها.

هل أخبرك سرا؟

رغم براعتي ودهائي لم أشهد أي خاتمة أبداً، كل شيء كان طبيعيا حتى اليوم، اليوم اقتحم المغوار خيمة السمر وأنا أجلس مع صحبتي وأمرني أن أتبعه إلى الخارج بأمر مهيبنا وأخبرني بأمر المؤامرة التي تحاك ضدي وأجبرني على خوض تلك الرحلة، قصتي تخط بقلم مختل الغجري ابن الغاب، ساكن الكهوف، رفيق الشيطان، ملك الجبال، لا أحد يعلم حقيقته فقصته الأخيرة لم تحوي حكاية،ليست هناك حكاية لتروي من الأساس، ربما تخبركم هي يوماً.

***

إذا نظرت صوب عينتيه الضيقتين فستجديهما يشعان بلاهة أعلم دائما ما كان، ساخرا لا يبالي ولكن أريدك أن تتعمقي.. تعمقي.. تعمقي.. أكثر.. أكثر..أكثر..

ماذا لاحظتي؟

هل هي بلاهة متعمدة؟ هل تدركين كم السخط والغضب الآن، لب الحقيقة أن سلمان لم يكن بطلا قط، إنه يهوى المعارك ولكنه لم يربح معركة مطلقا، لم يبقى ليشهد خاتمة أي معركة، لا يحارب إلى النهاية، سلمان فقط يذهب عندما يشعر بالاكتفاء، يشبع رغباته عندما يقوم بسلب أرواح أعدائه أو عندما يقتل، لا يهم من يقتل، المهم أن يستنشق رائحة الدماء، الأهم أن يحظى بالندبات، أثناء المعركة يختفي ولا يظهر بعد ذلك إلا بشهر أو اثنين وربما أكثر، أين ذهب وماذا كان يفعل لم يعرف أحد الجواب أبدا.

رغم ذلك كان بارعا كان ذئبا بحق، دعي بالخاسر دوما.

وهذا ليس سرا

الفصل الثاني

ذهب سلمان إلى كوخه جمع أغراضه وارتدى زيه القديم، زي البدوي الذي نزعه منذ زمن بعيد، منذ أن زين بملابس المحاربين، رغم أنه يعتقد أن زي المحاربين يسلب المرء أكثر مما يهبه بكثير، استقل جملا ووضع أغراضه على الآخر وركب عبد الحميد البصاص الثالث وبدأت رحلتهم.

– أي طريق سنسلك أيها البصاص؟ فرغم كثرة تجوالي لم أذهب شرقا أبدا.

تحدث سلمان متسائلا

– طريق الوادي، حتي نصل إلى الغابة.

– هل سنلتف حول الغابة أم..؟

– لا، لكي نلتف قد تزيد رحلتنا عن ثلاث أيام، وهو طريق ليس خفيا عن أعدائك على أي حال

– كيف سنعبر الغابة؟ وصلني أن دربها وعر.

– لهذا استدعيتم بصاصا أيها المحارب، غداً ستكون في أرض السكارى.

نطق كلماته الأخيرة بشيء من التفاخر ليلا.

خرج القائد محمود بن حسان على رأس جزء من جيشه واصطحب معاونيه علي وهشام وذهب إلى الصحراء الشمالية متفقدا أثر

جماعة الهجامة.
بعد أربع ساعات من البحث المتواصل وعند الساعة الثانية صباحاً، أبصر جيش القدامى الشراذم الباقية من جماعة الهجامة، في الحال أمر قائد الجيوش جنوده بالانقضاض عليهم.
ودارت المعركة وكانت الغلبة في البداية من نصيب جيش القدامى، وعندما أدرك بعض أفراد جماعة الهجامة أنهم هالكين لا محالة فروا من ساحة القتال متوجهين غربا وتبعهم الكثير، نصف الهجامة هربوا والنصف الأخر مازال يحارب عندها أمر قائد الجيوش فارسه هشام باصطحاب نصف الجنود وملاحقتهم.
اكتسح جيش القدامى جماعة الهجامة وأوشكت المعركة على الحسم، ولكن حدث مالم يكن في الحسبان، هنا أدرك القائد أنه استخف كثيرا بتقدير بقايا جماعة الهجامة فعلى ما يبدو أن جماعة الهجامة خرجت على جزئين وأن النصف المتأخر القادم من الاتجاه الشرقي سيلتحق بالمعركة الآن، وهذا بكل تأكيد سيمنحهم أفضلية في ساحة القتال، عندها صرخ قائد الجيوش محمود في رجاله:
- تشكلوا تشكلوا خذوا وضع الدفاع الدائري.
فهمه رجاله في الحال وأخذوا يشكلون وضعا دائريا ظهورهم في ظهور بعضهم.
نجح التشكيل الدفاعي في البداية وأكسب القدامى مزيداً من الوقت، ولكن الوضع لم يستمر كثيراً، فحيوية الجزء المتأخر من الهجامة منح فريقه الأفضلية ولهذا لم يصمد التشكيل الدفاعي

للقدامي كثيراً وبدأ في التفكك وأصبح كل جزء يحارب جزءاً، وفي بعض جوانب ساحة القتال تجد رجلاً من القدامى يبارز واحداً أو اثنين أو ثلاثة من الهجامة وفي بعض الأركان تبصر مجموعة من الهجامة ينقضون على جندياً من القدامى ملتهمينه في همجية،.
رغم أن الكفة مالت ناحية الهجامة ولكن القائد محمود ورجاله أظهروا بأسا شديداً وصمودا جليا، ولكن إذا استمر الأمر هكذا طويلاً ففي الأخير سيكون الحسم في صالح جماعة الهجامة فالانهاك والتعب قد تمكن من جند القدامى وهذا أكثر ما يؤرق خاطر القائد محمود بن الصمدي، فهذا سيوصمه بالعار وربما يخسر منصبه ومكانته أيضاً وسيدنس سيرة أبيه المجيدة.
ها هو المحارب على الصواف تغطي الدماء دروعه الفضية جراء كثرة قتلاه ووجه يمطر عرقا يمسك سيفه بكلتا يداه وبضربة واحدة يقتلع رأس هذا الهجام عن جسده، وقبل أن يلتقط أنفاسه يأتيه هجام آخر ويبدءا التقاتل وتبادل ضربات السيوف.
في هذا الركن تجد الفارس قاسم يبارز هجامان بمفرده نظرات عيناهم تنم أنهما يكنان له شديد الكره وكثير الغل.
في البداية كان يتبادل الضربات معهم ويبدو أن التعب قد تمكن من جسده وأنهكه والآن وفي هذه اللحظة هما يوجهان له الكثير من الضربات وهو يتلقاها صادا إياها فقط وأقدامه تتراجع إلى الخلف كأنهما لم يعودا قادران على حمل جسده المتعب، قدماه خاناه أخيراً بعدما تحملا الكثير، ارتسمت ابتسامة غريبة على وجهه، لا تعلم إذا كان قد ارتضى مصيره أو قاصدا منها أن

يظهر لخصميه أنه لم ينته بعد، ثم يتراجع بضع خطوات إلى الخلف ويتقدم للأمام في خطوات أسرع ويقفز عاليا مفاجئا أحدهما مصوبا رمحه الذي يحمله في يسراه إلى الأسفل غارسا إياه في فخذ هذا الهجام، ينظر الأخر لرفيقه الذي حط على ركبتيه فيباغته قاسم بضربة رمح تقع في منتصف سيفه الذي يفلت من يده طائرا بعيداً عنه فيضم الفارس قاسم يمناه إلى يسراه ويوجه ضربة قوية إلى منتصف صدر الهجام فيشق رمحه صدر الهجام شقا، ينزعه قاسم ويغرسه في كبد الأخر الراكع أرضا.

وعندها نطق الهجام بأخر كلماته: "خائن"

يوجه قاسم ناظريه إلى القائد محمود الذي ينتزع سيفه من أحشاء هذا الهجام الراقد أرضاً بعدما تأكد أن روحه قد فارقت جسده، يصوب قاسم رمحه نحو قائده ويقذفه بقوة باتجاهه مباشرة، يمر الرمح بجانب رأس محمود الذي ينظر خلفه في ريبة متبينا أين حط رمح الفارس فيجده راشقا في عنق أحد الهجامة الذي كان على مايبدو ينوي الغدر به من الخلف، وبعدما تبين واجهة رمح الفارس ينظر إليه ويومئ برأسه إيماءة تنم عن الفهم والاحترام وفي الحال يلقى بسيفه إلى قاسم المجرد من رمحه، يلتقطه قاسم وبسرعة وبدون أن يلتفت يغرسه في عين هذا الهجام المهرول بخنجره باتجاهه من وراء ظهره فيخرج من مؤخرة رأسه، ينتزع السيف ويواصل المعركة، يمسك القائد بالرمح الذي أنقذ حياته ويسحبه من عنق مقتوله ويواصل.

أخيراً وصل النصف الأخر من جيش القدامى الذي ذهب مسبقاً

في مطاردة الفارين، ورغم أن النصف الأول لم يعد نصفا بأي حال ربما أضحى نصف النصف أو يقل ولكن رغم ذلك كانت الغلبة في النهاية لجيش القدامى وتم القضاء أخيراً على واحدة من أخطر جماعات الهجامة نهائيا.

أوائل الصباح انتهت الموقعة التي استغرقت ما يقرب من الست ساعات وأخذ القائد محمود يلقى كلمات يثني بها على بسالة وبأس رجاله الشجعان الذين أنهكوا هذه الليلة وأثناء هذا توقف عن الحديث ونظر إلى جنوده باحثا بينهم عن شخص ما.

وأردف:

أين الفارس ابن هاشم؟ لا أراه بينكم؟

أجابه أحد الجنود في حزن:

لقد نال الشهادة يا سيدي.

لم ينطق بعدها أحد وعمت الحسرة والحزن الجميع فلقد مات واحداً من أفضل رجال القدامى.

في صباح اليوم التالي أضحى سلمان ورفيقه على مشارف الغابة، استغرب عبد الحميد قلة حديث سلمان وظن أن الخوف تملكه خشية أن يغدر به عدو في هذه الغابة، ولكن بعد وهله من الزمن وبحنكة البصاص استشف أن نظرات سلمان العشوائية في كل الاتجاهات ليست ناتج جبن ما، إنما يستكشف الغابة ودروبها، كأنه يرسم خريطة الغابة في عقله.

قطعت كلماته تركيز وشرود سلمان:

– يقال أن الغجري كان يسكن هذه الغابة.

نظر له سلمان متفاجئ وتساءل:
– من أخبرك ذلك؟
– من يدعي أنه صديقك أخبرنا حكاياتك عن المجنون.
تساءل مجددا في امتعاض:
– أي حكايات؟
– حسنا، فنحن لم نفهم أي شيء من أقاويله أصلاً، أظن خليلك لا يفهم هو الأخر.
– يا رفيقي كل الحكايات ماهي إلا محض كذبة، ليست هناك حكاية لتروي من الأساس.
هز البصاص رأسه متظاهرا بالفهم، وأثناء ذلك ظهرت على جوانب الطريق بعض الحيوانات كالدببة والنمور والأفيال، ولكنهم عندما أبصروا المحارب سلمان ما كان منهم سوى أن طأطأوا رؤوسهم للأسفل كأنهم يقفون احتراما في حضرة أحد ملوكهم، تبادل المحارب والبصاص نظرات التعجب والاندهاش وواصلوا طريقهم.

***

في مملكة النمطيين الجدد وبالتحديد في الديوان الملكي يجلس المستشار الأول للملك، المستشار عمرو الضاحي خلف أريكة مكتبه المتكلف متفحصا بعض الملفات ويدون بقلمه بعض الملاحظات على الأوراق المتراصة بعشوائية على مكتبه.

يدخل عليه هذا الشاب المتكبر المتفاخر ابن السادسة والعشرين ويجلس على أحد الكرسيين المقابلان للمستشار ويتحدث بنبرة لا تدنو إلى أقل درجات الذوق العام:

– ماذا تريد يا زوج أختي؟ لماذا أرسلت فى طلبي ولم تكلف نفسك عناء زيارتي؟

يضع المستشار قلمه جانبا ويرفع عيناه باتجاه محدثه وينطق في هدوء:

– منذر، ما بالك بتمارا الغجرية.

– وفيما يعنيك هذا؟

– لقد جاءتني البارحة وأخبرتني بأمرك معها، لقد أتي اليوم الذي تأتي فيه إحدى راقصات فرق الغجر للديوان الملكي لتقدم شكواها في أمير.

– هذه العاهرة! لن أفوت لها هذه الفعلة سأعاقب..

قاطعه المستشار عمرو في عنف:

– لن تمسها بسوء ولن تقترب منها مجدداً، لقد وعدتها، وأرجو منك أن تتصرف كالأمراء أيها الأمير العابث، وإلا سأخبر صالح.

– حسناً، لن أقترب منها ثانية، ولكن لا تخبر صالح.

مملكة النمطيين الجدد إحدى أكثر الممالك ثراء فأرضها مليئة بالثروات والأحجار الكريمة، ملابس شعبها جميلة متناسقة يهوون أن يزيونها بالزركشات المتنوعة، ملكهم الحكيم أصيب عقله بأحد أمراض الشيخوخة، ولهذا تجده ينسى الكثير من الأحداث ولم يعد قادراً على مباشرة شئون الحكم ولهذا يمكنك أن تستشف

أن حاكمهم الفعلي هو المستشار عمرو الضاحي صهر الملك، أنجب الملك عماد الدين ثلاثة أبناء: الأميرة أمل أكبر أبنائه ثم يليها الأمير صالح وأصغرهم العابث منذر.

منذر مدمن خمر، زير نساء، لا تقوى أي أنثى مهما كانت مكانتها مقاومة إغراءاته لم تفلت أي فتاة من شباكه إلاها، تمارا الغجرية التي كان يظنها في البداية صيدا رخيصا سهلا، الجدد يعيشون حياة سطحية بالية فمنذ أن اكتشفوا أن باطن أرضهم مكتنز بالثروات وهم لا يتوانون عن تبديدها، حياتهم مرفهة لأقصى درجة لا يفعلوا شيء سوى التفنن في تبذير الأموال والثروات التي تلدها لهم أرضهم، يمتلكون جيشا كبيرا يبددون عليه الكثير من الأموال كل عام، رغم أن أفراده لم يتلقوا تدريبا جيداً فالجميع يسعى للالتحاق بجيش الجدد راغبين في الوجاهة الاجتماعية لا أكثر وكانوا دائما مبالغين في تمجيد وتعظيم جيشهم وأفراده، فمثلاً لك أن تتخيل أن جيشا لم يخض ما يصلح أن ينعت بنصف معركة طوال تاريخه القصير يلقب رجاله بالأشاوس وقائدهم يدعي شبح الأشاوس لشراسته وخفة حركته ويشاع عنه أنه قاتل كالأفعي وسريع كالفهد، تخيل معي مجدداً أن رجلاً قصيرا تمتد بطنه أمامه نصف متر، ربما جميع قتلاه لا يتعدوا الثلاث لصوص وصعلوكان يلقب بشبح الأشاوس لأنه قاتل كالأفعي وسريع كالفهد!

الجدد لم يكن لهم أعداء ولا يكنون العداء لأحد فهم مشغولون بما هو أهم كما يدعون، كان بين الجدد والبدو حلف فعندما يفشل جيش الأشاوس في ملاحقة إحدى جماعات الصعاليك فإنهم

يلجأون إلى البدو لإعانتهم مقابل بعض المال وكذلك تسهيل مرورهم إلى مدن الساحل، وبسبب هذا الحلف تعرف الأمير منذر على المحارب سلمان وجمعتهم صداقة وطيدة ودائما ما تشاركوا أمور اللهو والعبث سويا، وتعرف سلمان على الأمير صالح بعد ذلك عن طريق أخيه.

***

الساعة تعدت منتصف الليل ببضع دقائق، تملك سلمان ورفيقه التعب والانهاك فهم منذ ما يزيد عن اليوم لم يحظوا ببعض الراحة نظراً لخطورة رحلتهم، لم يتبق إلا القليل، كيلومترا أو يزيد بقليل ويمسوا خارج الغابة بضع كيلومترات أخرى وسيصبحون في عالم السكارى، لم يسمع سلمان البدوي أي أخبار عن مملكة السكارى من قبل، ولكن ورغم شعوره بالسخط والغضب الشديد منذ بدأت هذه الرحلة فإن ما بعث في نفسه بعض الارتياح أنه سيجد هناك في عالم السكارى كل ما يروقه من كافه أنواع الخمور، رغم أنه أقلع عن ذلك منذ زمن في محاولة فاشلة لإصلاح نفسه ككثير مما سبقتها.

سحب نفساً عميقا من غليونه وتمتم إلى نفسه "ستعود الأيام الخوالي يا سلمان ربما ستحظى ببعض المومسات في خيمتك أيضا، أعتقد أنهم يزرعون الأعشاب المخدرة هناك ويوزعونها بالمجان أيضاً."

ثم وجه حديثه إلى رفيقه البصاص:
– هل سأحظى بالمتعة في هذه الأرض يا عبد الحميد؟
– جميع زوارها وجدوا نشوتهم ومتعتهم فيها، أما أنت فلا أظن.
وأردف متسائلا بلهفة:
– ما حقيقة خرافات الذئاب وفارسكم عيد بن سلام هل تلك الأساطير حقيقية أيها المحارب سلمان؟
– أراك مفتونا بالحكايات القديمة والخرافات يا عبد الحميد.
– أنا كذلك بالفعل، ربما يتداول الناس حكايتي يوما، ولكن أخبرني عن تلك الأسطورة.

أساطير البدو والذئاب

بعد بعث آدم وسيادة بني إنسان الأرض بملايين السنين، وبعدما تسيد الأسود سدة الحكم في الغابة واستقام الحال لهم ووجدوا طريقتهم لإبعاد بني عمومتهم الضباع عن شئون العرين، حتى أن الكثير تناسى أصل الحكاية، ولكن هو لم ينسى.

سبع العرين، ملك الغابة، يمتد نسله إلى غضنفر ابن المومس، عزم على القضاء على نسل الأكرمين معشر الذئاب، سيفعل بهم كما فعل أجداده بالديناصورات قديماً، أخذ يطاردهم في الصحاري والجبال والكهوف، رغم ما فات من سنين كان يخشى أن يعود الحق لربيبه يوماً أو يأتي أحدهم مطالباً بإرثه خاف أن تنهض الحقيقة من بين تلال الركام التي أثقلها الزمن، طاردهم بشراسة وجنون قتل الذكور والإناث حتى الصغار، الذئاب أوشكوا على الانتهاء، الانقراض، النهاية باتت قريبة عن أي وقت مضى، لم يغثهم حيوان ولا حتى بشري، الكل رفض مد يد العون لهم، الكل امتنع عن معاداة سبع العرين، الكل خشي ملك الغاب عداه هو فقط من أواهم وحماهم، إنه فارس بني خمسان، الفارس البدوي عيد بن سلام.

عيد بن سلام يعادل العرب والعرب ما يعادلوه، عيد خرينق كان يملك حوالي أربع ألاف شاة وما يزيد عن الربع ويقل عن الثلث من الماشية، كان ذي كلمة مسموعة بين جميع قبائل البدو المتناثرة، فارس عشيرة الخماسين إحدى عشائر البدو صنع لنفسه

مكانا مروقا بين قومه، لم يكن هناك ما يسمى بمملكة البدو بعد، ما هم إلا عبارة عن قبائل وعشائر متفرقة في الأراضي الواسعة، تصدى الفارس للبطش الغاشم لسبع العرين، حاول ملك الغابة كثيراً التغلب عليه والظفر برؤوس بقايا الذئاب ولكنه لم يفلح، دائما ما تصدي له الخمساني وقومه وتفوقوا عليه حتى أصيب باليأس وتملكه الإحباط فقرر أن يكف وينتظر، فلن يظل الذئاب طول العمر لاجئين عند فارس البدو يوما ما سيخرجون.

يقال أن الذئاب مكثوا عقدا من الزمن عند قوم الخماسين، لكن الله لم يمهل سبع العرين الوقت لإبادتهم فأثناء ذلك وافته المنية وأتى ملكاً آخر للغاب لم يعر أي اهتمام لأشلاء الذئاب الباقية، لم يعد هناك سبباً لكي يبقى الذئاب عند البدو بعد ذلك فقرروا الرحيل عن الخماسين.

يشاع أنه قبل الرحيل قدم زعيم الذئاب للفارس عيد بن سلام هبة، أسقاه دم الذئب الخالد، ولهذا أصبح بين البدو والذئاب رابطة أبدية، ومع مرور السنوات وتوالي الأجيال وعن طريق المصاهرة، أصبح دم الذئاب يسير في شرايين كل البدو، مما أكسب ذلك البدو بعض صفات الذئاب كتحمل الترحال الطويل والشمس الحارقة والعيش في الصحاري القاحلة والدهاء والفطنة كذلك.

أسطورة أخرى تقول أن البدوي والذئب خلقا من دم واحد يحملان نفس الدماء ولهذا آوى الخماسين الذئاب إكراما لصلة الدم، يقال أيضا أن الفارس عيد استنبط فكرة القطيع من الذئاب ولهذا عمل على جمع كل القبائل والعشائر البدوية في أرض واحدة،

تعرف الآن باسم مملكة البدو.
الكثير من الأساطير وأكثر من التخاريف لا أحد يعلم الصادق منها من الكذب، ولن نذكر جميعها الآن فأنا لم يعد لدي الكثير، وكان سلمان في صباه مولعا بحكايات الفارس الأسطوري عيد بن سلام وبحث كثيرا عن الكتب والمخطوطات القديمة التي تحوي أي معلومة عنه.

الفصل الثالث

قبيل الفجر وصل البدوي ورفيقه، هما الآن داخل حدود عالم السكارى.

حط سلمان الرحال في أرض السكارى، قبل ذلك ببضع أيام كان البصاص قد استأجر قطعة أرض علي أطراف المملكة تنبت بها الحشائش الصالحة لإطعام الماشية أو ما شابه، ترك البدوي ينصب خيمته وذهب عنه لمدة ساعتان وأتاه وبصحبته بضع غنيمات كان قد اشتراها مسبقاً من أحد تجار السكارى.

سلمان ضاحكاً:

– أراكم قد أعدتتم كل الترتيبات اللازمة للتخفي.

– بالطبع فنحن نعمل على ذلك منذ مدة.

– وأين كنت أنا من كل هذا؟

البصاص مبتسماً:

– لا أعلم، الآن حان وقت ذهابي انتهت مهمتي معك أيها المحارب.

– قبل رحيلك أعلمني عن أخبار ذاك الحاذق ماهركم، فأنا لم أراه منذ زمن ليس بالقليل.

– لا أعلم شيئا عنه أظنه في مهمة طويلة، وأنت تعلم القواعد أيها البدوي.

- أعلم يا رفيقي فلتذهب الآن.
- تشرفت بهذه المهمة وأكثر بصحبتك، وداعا أيها المحارب سلمان.

دخل سلمان إلى خيمته وخلد للراحه قليلا بعد ما عاناه في رحلته.

في صباح اليوم التالي وبعد أن أطعم غنمه واطمأن لحالتهم أخذ يتجول في عالم السكارى ليستكشف أحواله، اندهش لجمال معمار مملكة السكارى فبيوتهم ليست كبيوت أهله، فمنازل البدو لا تتجاوز الطابقين، وقد بنيت أحيائهم بعشوائية، وبجانب كل دار تجد خيمه صغيره للسمر، أما السكارى فتصل بعض مبانيهم إلى الثماني طوابق وفي كل بيت تجد الكثير من الأشجار والزهور المختلفة، فكل مبنى يحوي حديقة خاصة به وفي كثير من البيوت تجد المسابح، وشوارعهم نظيفة جميلة وتزينها الأشجار من كلا الجانبين، ونهرهم نهر السكارى الكبير الذي يشق المملكة من منتصفها وأفرعه كثيرة تصل مياهه إلى كل أرجاء عالمهم يبدأ من الغرب من حدود الغابة حتى مصبه الأخير شرقا عند المدخل الخلفي لسلطنة الخالدين.

ورغم ذلك فقد خاب أمل سلمان فلم يجد حانات ولا بيتا يحوي عاهرات، ولا حتى يوجد في المملكة صراعات لكي يسعى أحدا ليحظي بخدماته ويستغل مهاراته في القتل.

"ماهذا الضجر الذي ابتلى الله به هؤلاء السكارى؟"

بعد عدة أيام في أرض السكارى تمكن الملل من البدوي، طيلة النهار يرعى غنيماته ويهتم بأرضه ويذهب لسوق المملكة لجلب احتياجاته، وطيلة الليل يتجول في أنحائها ساعيا لإيجاد شيء يكسر به ضجر أيامه ولكن لا جديد، حتي يتمكن الإرهاق منه فيلجأ لخيمته ليستريح بضع سويعات قبل يوم جديد يستكمل به روتين سابقه.

في هذا اليوم وهو يبتاع بعض الأشياء من السوق تساءل سلمان:

– من أين أتي مسمى السكارى لمملكتكم وأنا أرى الحال غير ذلك؟

أخبره تاجر الأعلاف هذا:

– إن سبب الاسم أننا نحظى بسعادة وبهجة السكارى، فكل نفر من شعبنا من حقه أن يمارس ما يريد من عمل وهواية، كل شخص من حقه أن يفعل ما يشاء، كل شخص منتشي وسعيد هذا شعارنا، وهذا عهدنا منذ أن بدأ زمان مملكتنا وهذا ما حافظ عليه ملكنا الجبار المولى عثمان رجل الخير والسلام.

نظر له البدوي باستغراب ولكن قاطع تعجبه كلمات التاجر، كلمات زادت من دهشته:

– عذراً أيها الأعرابي سأتركك الآن قاصدا بيت الفنون، فاليوم ستعزف أميرتنا لحنا جديدا لشعبنا، فليحفظها الرب وليؤتها من نعمه أفضل الفرسان، فهي تستحق زينة الأمراء وأشجعهم.

ذهب التاجر وترك سلمان في حيرة "أميرة تعزف للعامة؟"

تعجب سلمان من أمر كهذا ولكنه في النهاية قرر أن يذهب

لبيت الفنون أملا أن يجد هناك ما يهون شعوره بالضجر.

***

في أرض القدامى وبعد أيام من معركة الصحراء الشمالية، وبعد تشييع قتلاهم والجنازة المهيبة للفارس هشام ابن هاشم اصطحب القائد محمود معاونه على الصواف قاصدين مقر الجيش.

استهل القائد حديثه بالترحم علي الموتى وخص بالدعاء الفارس هشام إبن هاشم:

رحم الله بطلنا إبن هشام ويعلم الله كم أتحسر على فراقه ولكن يجب علينا أن ندفن أحزاننا الآن فنحن لا نملك الوقت لهذا يا علي.

نطق المحارب على:

– كما ترى أيها القائد.

– كف عن ذلك يا صاحبي فأنا الآن أتحدث معك كصديق طالبا النصح.

فطن ابن الصواف ما يرمي إليه محمود:

– حسناً، أنت محتار في اختيار من سيخلف هشام رحمه الله، أليس كذلك؟

– كعادتك يا علي تفهم ما يجول في خاطري قبل أن أصرح به.

– رغم أن كل المؤشرات تشير إلى الفارس أسامة الحامدي إلا أنك ترى أن آخر أحق بها، هل أصاب حدسي؟

– نعم أصاب، دائما ما يصيب

– قاسم أليس كذلك؟

– وكيف علمت؟ هل لهذه الدرجة تستطيع استشفاف أفكاري؟!
– ربما كل ما في الأمر يا محمود أن أفكارنا متشابهة لا أكثر.
– ماذا تعني؟
– لا شك أن أسامة فارس لا غبار عليه، مقاتل ذو جلد قوي قاسي مخلص، ولكنه لا يمتلك العقل الرشيد، أنا أرى في قاسم مرادنا فهو لا يقل قوة وشجاعة عن أسامة، وأصبح جليا أنه يزيد عنه بالذكاء الشديد والدهاء وولاؤه لا تشوبه شائبة، يكفي تفانيه الفترة الماضية في خدمتك يا محمود، أظن أنك انتشلت هذا الشاب من الضياع ووجد ضالته بيننا لدرجة أنه لا يتوانى عن المخاطرة بحياته لأجل شعبنا.
– أعلم ذلك، لكن أقرباء أسامة والأشراف لن يرتضوا ذلك
– وكذلك باقي المعاونين الثمانية سيعارضون بشدة أن يصل دخيل إلى هذه المكانة المرموقة، وكأن المناصب الكبرى أصبحت حكراً على أبناء العائلات الشريفة فقط
عندها تملك العبوس ملامح القائد كأن كلمات معاونه الأخيرة مست شيئا خفيا في نفسه، ثم قذف كلماته صوب المحارب على:
– أرى أنك لا تنتمي لإحدى العائلات الشريفة ووصلت لمكانة مرموقة يحسدك عليها الجميع بما فيهم أبناء الأشراف.
– حتى مكانتي المرموقة يا صديقي ما كنت سأصل إليها لولا أنك تعرفني منذ الصغر وتؤمن بي، أتنكر أنك واجهت بعض المصاعب في إقناع الأعيان أن يتقلد ابن علم الدين الصواف هذا المنصب الذي يفتخر به؟

– لا أنكر، حسناً فهذا ليس الوقت المناسب لخوض هذا النقاش فالاجتماع بعد قليل، لا أعلم كيف أطرح أمر قاسم على البقية.
– هذه معضلتك أنت، فأنت قائد الجيوش لا أنا.
– هل ستبخل على بمشورتك الآن يا علي؟!
كرر كلماته مجددا:
–أنت محمود ابن الصمدي حسان قائد جيوش القدامى، أعظم جيوش الأرض، لا أنا.
نظر له القائد محمود نظرة توحي أنه أدرك رسالته.

***

في بيت الفنون وقفت أميرة السكارى أعلى المسرح والجميع يقفون أسفلها في هذه القاعة الكبيرة الواسعة التي لا تحوي أي كراسي، الأمراء والقادة وذو الشأن الرفيع جانبا إلى جنب هم والعامة لا تفرقة هنا، وبدأت العزف، أبدعت الأميرة في لحن تلك المعزوفة، مناجاة الشاطئ، ولكن سلمان أيقن أنها لا تناجي شاطئا ولا بحرا حتي، ولكنها تناجي خوفها، أسماها معزوفة الأميرة التائهة.
عندما انتهت الأميرة من معزوفتها نالت تصفيقا حارا انهالت عليها إشادات كل زائري بيت الفنون في هذا اليوم.
نظر البدوي لجمع الحضور باستنكار، ظانا أن أكثرهم لم يفهم تلك المعزوفة، قد يكون بعضهم لا يحب الموسيقى من الأساس لو فهموها لبكوا ربما، على أي حال راقته تلك المعزوفة.

صمت الجميع وأنصت
"لا تخجلوا أيها الموهبون، فلتظهروا شغفكم للعالم، لا تدفنوا حب الإبداع داخل نفوسكم، فتصبح نورها ظلاما، من يريد أن يظهر موهبته لشعب سكارى العظيم فما عليه سوي أن يصعد مسرح قلعة المبدعين."
هكذا خاطبت الأميرة الجمع، دائما ما هوت الأميرة أن تلقب بيت الفنون بقلعة المبدعين نسبة إلى ذاك المبدع المؤسس كما تقول الحكايات، أصابت تلك الكلمات فؤاد سلمان البدوي في مقتل قلب ظن أنه فقده في إحدى حروبه أو انتزع من صدره صغيرا ووضع مكانه كرات من جمر، تذكر عوده، تذكر ألحانه، تذكر هوايته، حلم صباه، حلم راوده دائما، أين دفن ذلك الحلم ومتى؟ لا يذكر.
استجمع سلمان قواه أمام نفسه وتمتم:
"هل أصعد إلى المسرح الآن وأعزف لحنا أعذب من لحن أميرتهم؟ هل أنال منها أمام أفاقيها؟ لا لن أصعد، لا أريد لبشري أن يرى ظلامي وبؤسي أنا أقوى من ذلك."
رغم ادعاء سلمان عكس ذلك دائما، ولكنه في قرارة نفسه يوقن أنه ليس سوى مجرد وغد: "سأحطم عودي عندما أعود لخيمتي" للعلم لم يفارق العود أغراض البدوي أبدا أينما حل وكذلك سيفه وخنجره ولفافة تبغه وغليونه والكثير من أكياس البن أيضاً، معشوقاته كما يلقبهم، رجع سلمان إلى أرضه، اطمأن على حال أغنامه وهم داخلا خيمته وأخذ يبحث عن عوده بين أغراضه

ساعيا لتدميره، وجده، أمسك به، نظر له مليا، أشفق عليه، نظفه من غبار ملأه، أزال خيوط العنكبوت منه، عنكبوتا صنع من العود مأوى ظانا أن صاحبه هجره، وضع العود أمام ناظريه مصوبا عيناه نحوه كأنه يرثي أحلام صباه.

***

بعد فترة وجيزة من الوقت وفي قاعة الاجتماعات الرئيسية في مقر جيوش القدامى يجلس القائد محمود على رأس هذه الطاولة المستطيلة الشكل وحوله أعوانه التسعة، استهل حديثه بالترحم علي القتلى مسترسلا في وصف شجاعتهم التي أظهروها في ميدان القتال، ونطق كلماته التالية في حزم مصطنع:

– لقد أمسي العشرة تسعة ولم يعد أمامنا وقت فالمعركة سيتحدد موعدها النهائي قريبا ويجب علينا الآن أن نكمل عشرتنا بفارس، ولقد عزمت أمري واتخذت قراري الأخير، سنكمل عقد العشرة بالفارس..

لم يعر أعوانه لكلماته السابقة الكثير من الاهتمام كأنهم يعرفون مسبقاً من مكملهم.

– سنكمل عقد العشرة بالفارس قاسم.

وهنا حلت الصدمة على الجميع ووجهوا أبصارهم نحوه في جمود كأن طيرا أبابيل حطت أعلى رؤوسهم عدا المعاون على الصواف رغم أنه لم يكن يتوقع أن يقدم القائد محمود على هذه الخطوة

فعلا وأخذ يجول بعينيه متحسسا ردود أفعال الثمانية الآخرين وغمغم في خاطره: "العاصفة على وشك البدء، فليثبتك الله يا محمود، أصبت يا صديقي."

امتص الثمانية هول الصدمة وبدأت حاله من الهرج والمرج بينهم وكل منهم يرمي بكلماته مسجلين شديد الاعتراض والامتعاض والقائد يشيعهم بنظرات الصمت، أخرج كل منهم ما في جعبته من غضب وسخط وبدأت الأصوات بالانخفاض أخيراً والقائد حتى الآن متمسكا بصمته، نظر أحد الثمانية إلى القائد وأطلق كلماته:

– فلتمنحنى حق التصويت أيها القائد على هذا القرار.

رمقه القائد بنظرة ساخطة في الحال، بعدما كف الجميع عن التأفف تحدث هذا الرجل الخمسيني المسمى كامل:

– ماذا تعني بحق التصويت يا عبد الرحمن، هل تعارض قرار قائدك؟ تهذب!

صمت برهة وأكمل:

– ولكن أرجو أن يكرم علينا القائد ويمنح نفسه ويمنحنا بعض الوقت، بضع أيام فقط للمشاورة وفي النهاية كلنا ثقة في قرار القائد، بضع أيام فقط أيها القائد للتحاور.

أدرك القائد محمود مبتغي هذا الخبيث كامل، إنه يريد أن ينفض هذا الاجتماع دون حسم الأمر، وبمجرد الخروج من هذه القاعة سيتسرب الأمر إلى الأشراف والأعيان الذين لن يتوانوا عن ممارسة كل أنواع الضغوط المشروعة وغير المشروعة لإثناءه عن هذا القرار.

وأخيراً خرج القائد محمود عن صمته الطويل ووجه أوامره إلى حارسه الذي يقف بجواره:
– أيها الحارس استدعيه من الخارج.
دخل عليهم الفارس قاسم وألقى السلام ولم يجد له مجيبا غير المحارب على الصواف، وجه القائد حديثه نحو قاسم بأكثر صرامة:
– أيها الفارس بعد التشاور مع معاوني والأخذ بآرائهم الحكيمة السديدة قررت أنا وبصفتي قائد أعظم جيوش الأرض، جيوش النمطيين القدامى الآتي: تنصيب الفارس قاسم فارسا أعلى لمملكة النمطيين القدامي وعليه فإنه سيكتمل به عقد العشرة، من اليوم سترتدي الفضي أيها الشجاع، اتل القسم أيها الفارس. "
اتسعتا حدقتا أعين قاسم من هول المفاجأة ولم ينطق لسانه ببنت شفه، صرخ فيه القائد:
– اتل اقسم أيها الفارس.
بدأ قاسم في تلاوة القسم ولكن لسانه تلعثم كثيراً مما جعل الثمانية الفضيين يتبادلون الابتسامات الخبيثة وينظرون نحوه ونحو القائد في شماته، لم يتوقع هذا اللقيط يوماً أن يصل لهذه المكانة، ولهذا لم يشغل باله يوما بهذا القسم ولكنه حاول استذكار بعض الكلمات منه التي سمعها صدفة من قبل ولكن محاولته مما يبدو أنها باءت بالفشل، وهنا وقف الفضي التاسع على ابن الصواف وبدأ في تلاوة القسم والفارس قاسم يردد من خلفه.

الفصل الرابع

كعادة سلمان في الأيام الأخيرة ذهب ليتجول ليلا في أرجاء المملكة وحيداً، فهو ورغم مكوثه مدة ليست بالقليلة في عالم السكارى فإنه لم يكون صداقات ولم يتخذ من أي شخص رفيقا حتى، فهو ليس من هواة العلاقات الجديدة، علاقته بالجميع عابرة لا يتعمق مع أي نفر، قادته أقدامه هذه الليلة أثناء تجواله إلى جانب أسوار قصر الملك الجبار المولى عثمان، وعندها سمع أنغام موسيقى تعزف، أنصت فأيقن عازفها فهذه بالطبع ألحان أميرة السكارى، أصغي لألحانها حتى أخذته السكينة ولم يدرك ما فاته من وقت إلا حينما توقفت الأميرة عن العزف وأوشكت الشمس على البزوغ.

"حقاً موسيقاها جميله ولكنها بالتأكيد لا تضاهي إبداع عودي."

ولثلاث أيام متتالية بعد ذلك، كان يأتي إلى جوار أسوار القصر لتعذب أذنيه بنغم أميرة السكارى حتى أتت هذه الليلة، هذه الليلة أخذ قرارا ربما سيرافقه ندم هذا القرار إلى أبد الآبدين.

ذهب إلى خيمته، جاء بعوده، تسلل أسوار قصر الجبار، اتبع اللحن حتى وجد نفسه أسفل شرفة غرفة أميرة السكارى، أمسك عوده، لا أعلم من أين جاءته الجرأة ليعزف في وضع كهذا متسللا قصر الجبار وسيعزف لأميرة الأنغام وآخر عهده بالعود كان قبل سنين.

الجناح الخاص بالأميرة ووصيفاتها جناح خاص بذاته عن بقية القصر الملكي، لا يتواجد بجانبه أي حرس ولكنهم على مقربه بالتأكيد، ثوان معدودة فقط تفصل بين استدعائهم إذا لزم الأمر وتواجدهم، غرفة الأميرة في الطابق الثاني من الجناح، وتطل شرفتها مباشرة على الحديقة الخاصة بها وتتزين حديقتها بأرقى الأصناف من الورود والأشجار، وهناك هذه الشجرة الكبيرة عمراً وحجما ذات الجذع الضخم البارز عن الأرض، أغصانها كثيرة طويلة متشابكة تصل لأعلى شرفة الأميرة، وأسفل هذه الشجرة جلس البدوي وبدأ العزف، وهنا توقفت الأميرة عن العزف، اعتقد أنها ذهبت لتخبر حراسها بأمره، لا يهم فلتكن مجزرة إذا لزم الأمر الليلة، رغم ذلك لم يتوقف ظل يعزف حتى أنهكت أنامله، انتهى ولم يجد نفسه محاطا بجنود ولا فرسان ليس هناك أحدا مطلقا، ربما كان متعطشا للدماء هذه الليلة.

نظر لأعلى فوجد الأميرة تشير له بإشارة فهمها في حينها فحواها:

"محاولة جيدة أيها المبتدئ"

ابتسم لها وذهب

"مبتدئ؟! محاولة جيدة؟! من أين أتت الفتاة بتلك الشجاعة لتنعتني أنا المحارب سلمان البدوي بتلك الكلمات، حسنا حسنا، فهي لا تعلم أني العظيم سلمان على أي حال، ولكن كيف تغاضت عن جميل ألحاني؟"

آوى إلى خيمته وأخذ يعيد عزف ألحانه، ساعتها أدرك أن أميرة السكارى قد بالغت في مجاملته عندما أخبرته أنها كانت محاولة

جيدة، جرح كبريائه أمام نفسه ولكنه عزم على إصلاح هذا، أراد فقط إرضاء غروره، أخذ يفتش في طيات عقله عن ألحانه السابقة التي وأدها منذ سنين.

في الليلة التالية، وأسفل شرفة أميرة السكارى، وعندما كان على وشك أن يبدأ العزف، قاطعته الأميرة بسؤالها:

– يا هذا! فلتخبرني كيف استطعت أن تجد سبيلك إلى جناحي؟

– أظن أن انعدام الحروب والنزاعات قد أصابوا جنود السكارى بالكسل والبلاهة، لقد تناسوا ماهيتهم ربما.

رمقته الأميرة بنظرة غضب واستنكار

– والدي يمتلك أعظم المحاربين وأقوى الجنود، كيف خدعتهم أيها اللئيم؟

وقع كلماتها عليه أصابه بالضحك الشديد وواصل ساخراً:

– الأمر ببساطة وبحكم مراقبتي اكتشفت أنه عندما يحين منتصف الليل يتناوب الحراس ورياتهم، وأثناء ذلك تحدث بعض الهرجلة من هؤلاء الحمقى، وبقليل من خبرتي وجدت طريقي إليك أميرتي.

– أي خبرة التي تتحدث عنها أيها البدوي.

– دعك من ذلك.

– وكيف تجد طريقك للذهاب؟

– الوردية تبدل عند أوائل الصباح أيضا.

– ومن أين جاءتك الجرأة أن تعزف هنا والثقة أنك لن يكشف أمرك.

– أظنهم لا يفهمون فننا.
– ماذا إن أبصرك أحد حراسي يوماً؟
– سأقتله
ظهر العبوس الشديد على ملامح وجهها الجميل وفعلت ما استفزه وزاد من حنقه وغضبه، فلقد أدارت ظهرها له وهمت دالفه إلى غرفتها.
– أسلوبك رخيص يا فتاة، فلتعلمي أني لست مثلهم.
نطقها صارخاً:
أدارت ظهرها بسرعة:
من هم؟
– لا يهم أيتها الفتاة المغرورة.
– وقح، لا تأتي إلى هنا مره أخ..
قاطعتها صرخات عوده، أخذ سلمان يعزف ويعزف لساعات وساعات حتى مطلع النهار،والليله التي تلتها كذلك، أطلق ألحانه بعشوائية وهمجية، ألحان قديمة وألحان راودت خاطره حالا، لم يتوقف، كأنه يعاقبها على إطلاق وحشه، في الليلة الثالثة لم تتوقف الأميرة عن العزف عندما سمعت لحن عوده، الليلة الرابعة أطفأت نور غرفتها أغلقت، نوافذها وكذلك باب شرفتها، أظن أصابها الصداع، ضجرت من همجيته، طفح كيلها أخيراً من عود سلمان، وعند ذلك ولأول مره منذ أيام يبدأ عقله المتوقف في استعادة بعضاً من اتزانه، كأنه كان في عطله انتزعها جبرا من ربيبه ليستريح قليلا ليصبح قادرا على جمع بعضا من شتاته، فمنذ

بداية تلك الرحلة والأمر يزداد سوءاً، توقف عن العزف ونظر مطولاً في اتجاه تلك الغرفة المظلمة كأنه يلقى وداعاً، ذهب وعزم ألا يعود إلى قصر الجبار مرة أخرى.

"كفاك تطفلا، لقد أثقلت عليها، ضاقت منك أيها الوقح، هل أنا أملك الموهبة حقاً، لم أسمع ألحاني إنسانا قبل تلك الأميرة، لم أعزف أمام أحد من قبل، لم تأتني الجرأة لأفعل ذلك أبدا ولم أمتلك من الشجاعة، ما يحملني أن أصرح بهذا لأي بشرى؟ لقد أهنت ذاتي بما فيه الكفاية، فلتغفر لي نفسي تلك الخطيئة، أوهام الصبية نالت منك يا سلمان، فلتعد إلى صوابك ولتنسى، فأمامك ماهو أهم، هناك معركة تنتظرك أيها الخاسر."

هكذا عاتب البدوي نفسه في حيره وحنق ويأس '

***

قبل ستة عشر شهراً.

في أرض البدو، وبالتحديد في القاعة الملكية لقصر الملك المهيب، هذا القصر الذي لا يقارن بقصور الممالك الأخري فهو أردأ من أن يوصف بقصر ملكي.

الملك سيف الله، والقائد غانم، والمحارب سلمان، الزعيم سالم فقط في هذه القاعة يجلسون حول هذه الطاولة الدائرية، طاولة الحسم، فكل القرارات المصيرية الخاصة بالبدو تخرج من حول هذه الطاولة.

القائد المغوار: لسنا أهلا لتلك المعركة الآن يا مولاي.
المحارب سلمان: أيخشي المغوار الحرب؟
الملك المهيب: تأدب يا سلمان وأنت تحدث قائدك.
المحارب: لماذا يرفض القائد هذه المعركة، فهي سبيلنا نحو الحرية من بؤسنا، هل من ينتهل درب عظماء القدامى يعجبه حاله وهو يحارب كمرتزق.
القائد: معركتك لا طائل منها، ولا نهاية لها إلا هلاك شعبنا، لن أخاطر بحياة أي نفر من جندي لأجل شيء هاو لا وجود له يثرثر به مستهتر.
الملك: أوافق غانم الرأي، من المستحيل أن نهزم النمطيين القدامى أضخم جيوش الأرض.
المحارب: عن أي قدامي تتحدثون، فهدف معركتي ليس أرض القدامى.
نظرات من الملك والقائد والزعيم توحي بعدم الفهم.
الملك: أوضح.
المحارب: ربما يجب أن نستحوذ علي أرض النمطيين القدامي لكي نكمل طريقنا إلى الهدف الأسمى، إلى سلطنة الخالدين.
هم المغوار واقفاً في فزع وضرب بكلتا يديه الطاولة وتحدث بحدة: لا لا أستطيع أن أتحمل كل هذا العبث والجنون، لقد أصيب عقلك بعله أوقن هذا الآن.
الملك: اهدأ يا غانم! هل أنت مخمور يا سلمان؟ هل عدت لتعاقر النبيذ من جديد؟

المحارب: لست مخمورا ولا أي شيء من هذا، كل ما في الأمر..
قاطعه القائد: كل ما في الأمر أنك فقدت عقلك.
الملك موجها حديثه إلى زعيم حرسه سالم الواقف بجواره: سالم هل سمعت عن أي مجنون نوى من قبل أن يذهب للخالدين فقط؟
الزعيم: أساطير اندثرت منذ مئات السنين مولاي حتي أن الأساطير لم تذكر أن أحدا ذهب للخالدين وشوهد بعد ذلك، ورغم أن النمطيين دربهم ممهد للذهاب إلى هناك لم يجرئوا حتي علي التفكير في ذلك يا سلمان.
تجاهل سلمان كلمات القائد والزعيم الأخيرة ووجه بصره نحو الملك: لأنهم نمطيين مولاي المهيب، أنا أقنعت شعبنا وهم على أتم استعداد لخوض تلك المغامرة معنا، إنهم متحمسون للغاية ويتمنون ذلك أكثر من أي شيء آخر، لقد سئموا واقعهم.
الملك: نعم وصلني أمر خطبك العصماء التي تمتمت بها إلى شعبي طيلة الأيام الماضية، ولكن كلماتك الحماسية التي أنت بارع في إلقائها قد تسحر العامة وليس الملوك يا سلمان.
المحارب: هل ستقف ضد إرادة شعبك؟
الملك: شعبنا يحبك، وحبهم لك يعميهم عن حقيقتك ومساوئك، ولكن عندما تحل خيبتك، فلن يرحمك أحداً، أخشى أن يجردوك زي المحارب كما نزعوا منك إمارتك، أنسيت ذلك يا ابن أخي؟
المحارب: لا يهم، فلتمحني تلك المعركة يا عمي، وأعدك لن أخذل ناسي مجددا، سأرتقي بهم ثانية، سأعيد أيامنا الخاوية، سأزيل عنهم اللعنة، اللعنة التي بليتهم أنا بها.

القائد: منذ متى وأنت تهتم لأمر الناس، كفاك ادعاءا للبطولة.
الملك: لا أصدقك، أسبابك هاوية سلمان، فأنا أعلم الناس بك، أنت لا تبغي ملكاً ولا مالا، لا تخدم ملوكا، لا تملك قضيه ما، لست وفيا لأي إنسان أو مبدأ، لست وفيا لنفسك حتي، لا أعتقد أيضاً أنك تحارب لأجل مجد أو عظمة كاخيليس ، أظنك تستمتع بطعنات السيوف عندما تلامس جسدك، أظنك تحب ندباتك، تحب جلد ذاتك.
المحارب: حسناً، فلتضع كل هذا جانباً يا عمي، شعبك الآن يتمنى خوض هذه المعركة، هل ستخرج عليهم وتوصمهم بعار الانسحاب؟ ولكن إذا عزمت على الحرب، فأعدك أني سأعيد أمتنا إلى مجدها الغابر، سأجعلها ملحمة لا تنسى أيا كانت نتائجها.
القائد: انظر من الذي يتحدث عن العار والانسحاب لا أصدق أذناي هل هذا الماجن سلمان؟
الملك: أنت لن ترغمني على شيء أيها المحارب.
المحارب: عفواً مولاي، أنا لا أرغمك على أي شيء، ولكني أعلم جيداً أنك أكثر تعطشا مني لتلك المعركة، ألم يحن الوقت لكي نخوض معركتنا نحن الخاصة، كفي جنودنا الموت في سبيل مجد الآخرين، الآبار تجف أيها المهيب.
نظر المهيب ناحية سالم فأعطاه إيماءة مؤكدا حديث سلمان فالأبار بدأت بالجفاف فعلا.
القائد: هل هذا صحيح، هل مولاي يوافق على هذا الهراء.

الملك: حتى الآن لم أوافق يا غانم.
المحارب: وهل يريد المغوار الشريف أن تأتيه المنية وهو يحارب كمرتزق؟ مولاي شرف نفسك ووطنك بهذه المعركة، حتي إن لم نفلح فسنموت ونحن فخورين أننا حاولنا، لا يوجد هناك وضع أسوأ مما نحن فيه.
فكر الملك لبعض الوقت والقائد يتتبعه بنظرات الترقب: ألديك خطة؟
المحارب: نعم بكل تأكيد.
الملك: حسناً سنخوض تلك المعركة ولكن ليس في الوقت الحالي، ولنستبعد أمر الخالدين نهائيا وكفاك جنونا فلتتعقل يا فتي.
القائد: مولاي.
الملك: لقد عزمت أمري يا مغوار، حسمت.
المحارب: وأنا ارتضيت ولكن لمَ ليس الآن؟
الملك: ليس من شأنك، عندما يحن الموعد سيبلغك قائدك وسنعقد مجلس الحرب للإطلاع على خططك.
المحارب: أمرك مولاي.
نظر الملك صوب القائد غانم منتظراً رأيه فيما قيل.
القائد: السمع والطاعة مولاي.
الملك بصوت عال: سلمان لا تخذلنا.
المحارب: أعدك لن أخذلك يا مليكي.
المهيب بالفعل كان متحمسا لخوض تلك المعركة حتي أنه عندما بدأ يتنامى إلى مسامعه أمر خطب سلمان بدأ هو وزعيم حرسه

الخاص سالم التشاور كثيرا حول هذا الأمر وبدؤوا في وضع الخطوط الأولية لبعض الخطط التي اتفقوا عليها رغم أنهم قبل اجتماع الحسم لم يتوصلوا لقرار نهائي ولكن طاولة الحسم قد فاضت بكل أسرارها وحسم الأمر.

انتظر الملك المهيب حتي خرج المغوار وسلمان ولم يعد غيره هو الزعيم سالم في القاعة الملكية.

ثم وجه المهيب أوامره لسالم:

– فلتبعث لعين البصاصين يا سالم.

–في الحال مولاي سأبعث طالبا أحد البصاصين في مهمة.

– لا أبغي أحد البصاصين، بل أرسل طالبا سمعان بالاسم، بأي مقابل أحضر سمعان.

ومنذ ذلك اليوم والبدو يستعدون لتلك المعركة خير استعداد رغم صعوبتها فآبارهم بدأت في الجفاف وليس هناك حل آخر سوي أن ينتزعوا تلك الأرض الشاسعة التي يغذيها النهر القديم أقدم أنهار الأرض التي تقع بينهم وبين القدامي من القدامي.

البدو عازمون علي الظفر بجميع فدادين الجدول مهما كان الثمن، وهناك في الأرض البائرة المسماة بالعقيمة التي تقع في منتصف الجدول ستدور المعركة، الملك المهيب أوصي رجاله أن لا يخرج أمر قرار الحسم خارجهم لكي يتلاعب بميثاق الدم لصالحه، علي العموم هو تلاعب مشروع.

الآن في مملكة الجدد وبالتحديد في باحة القصر الملكي يجلس الثلاثة أشقاء سويا، أمراء الجدد أمل وصالح ومنذر ويتناوبون أطراف الحديث.
أمل: لا تحمل نفسك هذا الوزر فولهان مات يا أخي وليتنا كان لنا حق اختيار من نهوى.
صالح: لا أستطيع التعايش مع هذا، إنها محبوبة صديقي ومع ذلك فؤادي يحترق كلما فكرت في الابتعاد عنها.
أمل: لا تبتعد عنها فلقد زرع الله حب هذه الفتاة في قلبك لسبب ما، فصديقك قد وراه الثرى حتي إذا لم تتزوجها أنت فغيرك سيفعل.
صالح في إحباط: إنها ترفضني بشدة، ولا أجد لذلك سبباً لقد منحت نفسي ومنحتها فرصه أخيرة وأفكر في الذهاب لها قريبا حتى أعلم قرارها النهائي.
وهنا تدخل العابث مدمن الخمر زير النساء منذر في الحوار: لن تقبل بك طالما تراك ضعيفا أمامها، كن قويا فظا، إذا هرولت ناحية فتاة ستجدها تهرول عكسك، ولكن إذا ركلتها وأدرت ظهرك لها وذهبت ستجدها تلاحقك في كل مكان، هل أنت متأكد أن قلبها ليس لأخر؟
أمل بنفور: فلتصمت أيها السيئ، لا تسمع له يا صالح.
أشاح منذر لها بيده وذهب عنهم.
صالح وهو غارق في تفكيره: ربما منذر محق!
الأميرة أمل تهوى العلوم والبحث الدائم عن الجديد، ساعية لتطوير مملكتها وشعبها فهي من القلائل الذين مازالوا على عهد

فخر الدين بالرغم من أن زوجها ليس كذلك.
أما صالح، أمير الجدد، الصالح النبيل الشريف، الوسيم قوي الجثة طويل يملك جسدا مكتظ العضلات، فهو حلم أي فتاة في هذا العصر عداها، قبل أن يخوض الأمير صالح رحلة الثلاثة عشر يوماً كان شخصا يحب الحياة، مرح متحمس دوما، ولكن بعد ما حدث في تلك الرحلة وما تلاها بشهور من خيانة معشوقته وأمره تغير للأسوأ، أصبح في عزله دائمة ورحله طويلة من الحزن والألم، ولكن حاله بدأ يتغير منذ أن صادف تلك الفتاة، لا أعلم خقا إذا كان قد تغير للأفضل أم الأسوأ.
صالح رغم عدم وجود الكثير من المحاربين الأشداء بين قومه، ولكنه كان فارسا قوياً شديد البأس، ففي صغره كان يجبر أباه أن يأتيه بأفضل المحاربين من الأراضي المجاورة لتدريبه، وعندما كبر انضم إلى بعض الجماعات المشروعة ليتعلم أساليب وفنون القتال وكذلك رافق صديقه السابق في كثير من حملاته كحملات مدن الساحل وغيرها.

***

قبل خمسة عشر شهراً في مملكة البدو:
يجلس الزعيم سالم وسمعان البصاص برفقة الملك المهيب حول طاولة الحسم.
الملك: أريدهم ثلاثين.
البصاص: المدة الزمنية لا تكفي سأحاول تدبر عشرة لك.

الملك: ثلاثون يا سمعان.
البصاص: كثير جدا، فجلالتك تريد أن نبدأ التنفيذ في خلال شهر على الأقل، لن أستطيع جمع هذا العدد.
الزعيم: ألقي كلمتك الأخيرة يا سمعان ولن نتناقش بعدها.
البصاص: ربما أحاول إيصالهم إلى سبعة عشر.
الزعيم: حسناً، هل تستطيع أن تجعلنا على اتصال مع المبشر.
البصاص: لا نعرف شيئاً عن هذا المبشر رغم محاولاتنا المستميتة لذلك لدرجة أننا زرعنا بعض الأشخاص بين الهجامة ولم نصل لشيء يذكر.
الملك باستنكار: حتى البصاصين؟
الزعيم سالم: وماذا عن الصعلوك فارس هل الحكايات حقيقية.
البصاص: أكثر من الحقيقية.
الملك: أريد فارس.
البصاص: سأحاول.
الملك: لا يعنيني، هذا الصعلوك هو الفرد الأهم في مهمتك.
البصاص: سأسعى خلفه.
الملك: أريد أن يبقى هذا الأمر سريا يا سمعان، لا تخبر غانم بأي شيء عن خطتنا فإنه سيرفضها.
البصاص: وإذا سألني؟
الملك المهيب: لقد أخبرته مسبقاً أني سأرسلك لمدن الساحل لتقصي أخبار من يدعي أنه حاميها.
الزعيم سالم: وسلمان كذلك.

الفصل الخامس

بعدما ودع سلمان أميرة السكارى عاد إلى أغنامه يرعاها وأرضه ليهتم بها فقد قصر في حقهم الليالي الماضية وحياته أصبحت أكثر مللا في هذه المملكة، لا يفعل شيئا في يومه غير أنه يطعم غنيماته التي أصابها الهزل والإعياء، ويروي أرضه عندما تكون المياه في أقصى منسوب لها في النهر الكبير، وأثناء ذلك يجلس يتابع المارة في شرود، وما يزيد الطين بله أن النوم لا يزوره ليلاً، فلقد تملكه الأرق والإرهاق، ونفسه ضاقت ذرعا بذلك، فدماغه تلد ألحانا، غولا من أنغام ينمو داخل رأسه.

– شيطاني يتمتم في عقلي، ماهذا الكابوس؟ فلترحمني يا الله من هذا العذاب، أشعر أني أنتهى، أنا أقتل.

بضع أيام على هذا الحال،يقظ لا يتغذى سوى على نيكوتين غليونه وكافيين قهوته، حاول مراراً وتكرارا أن يضع حدا لعذابه أو أن يجد مايهون معاناته، وفي سبيل ذلك ذهب إلى النهر وبدأ يشارك الصيادين هوايتهم، وذهب إلى السيرك أيضاً أملا أن يجد شيئا من المرح عندما يشاهد أسدا يرقص مثلا، وكذلك زار ميادين الرماية راغبا في أن يتعلم شيئا جديداً قد يفيده مستقبلاً، ولكنه دائما ما كان يمقت الرماية، لا يحب أن يرمي عدوه بالأسهم من بعيد، فهو محارب يهوى أن يواجه عدوه وجها لوجه، هذا شرف المحارب، رغم أنه في بعض الأحيان أتاهم من الخلف، والتحق

بمدرسة لتدريب هواة المحاربين، ورغم محاولاته المضنية لإخفاء قدراته، ففي وقت قصير بدأ الشك يتسلل إلى الجميع، ولهذا هجرها قبل أن يصيب الفضول أحداً ويسعى وراء كشف أمره. لقد باءت كل محاولاته المستميتة للعوده لسابق عهده بالفشل، وأخيراً قرر أن يضع حدا لهذا العبث، قرر أن يسلك ذلك الطريق مره أخرى، طريق قاده إليه شيطانه وها هو يتبعه من جديد، طريق نهايته أسفل شرفة أميرة السكارى ياسمينة.

"اليوم مصيري لن أدع شيئا هلاميا بعد الآن"

داخل أسوار قصر الملك الجبار وتحت شرفة الجميلة ياسمينة، الغرفة التي لم يتغير حالها منذ أن ودعها تلك الليلة فمازالت مغلقة مظلمة، وقف سلمان رافعا عوده بمحاذاة صدره كمحارب يستعد لخوض نزال، عزف لحن عرف فيما بعد باسم المصير، إنه يرسل رسالة فحواها:

"أنت من أيقظت وحشي النهم وحش ألحاني، لن أكف عن التسلل، لن أتوقف عن العزف، بالفعل أنا وقح، إما أن تخبري حراسك بأمري، وإما أن تتحملي سخافات عودي، فقط حتي أستطيع ترويد شيطاني، حتى أتمكن منه، لحظتها سأغدر به وأغتاله، وعندها سأذهب أبدأ."

أنهى معزوفته ووقف البدوي شامخاً سيفه في يسراه وعوده في يمناه يجب على الأميرة ياسمينة أن تختار، مصير هذه القصة بيدها الآن، مرت بضع دقائق كانت على سلمان بضع سنين، مازال واقفا مترقبا حذرا، وأخذ يتساءل:

"أي معركة ستخوض الليلة أيها المحارب العازف سلمان؟"
أنوار الغرفة تضاء، النوافذ تفتح، الأميرة تخرج إلى شرفتها، تشير له "واصل العزف أيها المختل"، نظر نحو عينيها وأشعل غليونه وتحدث بغرور:
– هل أدمنت موسيقى عودي؟ ربما تستهويك الأشياء القبيحة مثلي أيتها الأميرة.
– لست مدمنة لأي شيء من أي شخص يا هذا، بل إنني غالباً ما أزهد الأشياء سريعاً فلا تعلو بسقف توقعاتك حتى لا تصدم.
– أنا لا أتوقع ولا أنتظر شيئا من أحد، ولهذا لا يجرؤ مخلوق أيا كان أن يصدمني، ولا تصابي بالغرور فلن أجعلك عازفتي أبدا فأنا أمقت الصبية وأحلامهم.
– تأدب أيها البدوي، فأنت تحدث أميرة السكارى، هل كل رعاة الأغنام مثلك سيئون؟ بعد ذلك إذا أردت أن تلقى ألحانك على مسامعي فلتعزف وتذهب، لا نقاش بعد الآن.
وهنا تحدث البدوي باحترام مصطنع قاصدا تهدئة الحوار:
– ماذا فعلت لكل هذا؟ أنا أحترمك ولا أجد المثل بالمقابل.
– أين الاحترام عندما أخبرك أن أسلوبك رخيص.
أخذ نفساً عميقاً وأردف بهدوء:
– اعتقدتك تخطيتي ذلك.
– لا لم أتخطاه.
– حسناً، فلقد نعت نفسي بالوقح سابقاً، ربما أنا كذلك بالفعل، ولكن ماذا تريدين أكثر من ذلك؟

فكرت بضع لحظات ونطقت في هدوء:
– لا عليك، هذا يكفي.
–تنهد تنهيدة تنم عن الشعور ببعض الارتياح:
– الآن حان الوقت لنرسي بعض القواعد.
– أي قواعد التي تتحدث عنها.
– قواعد الحوار، سئمت من أن أكون دائما في موقف تبرير
– فهمت، وماذا ترى.
– عامة أنا لا أحب القواعد ولم أتقيد بها من قبل، منحتك هذا الحق.
لوهلة فكرت:
– حسناً، القاعدة الأولى الاحترام، والثانية لا تطرق للأمور الشخصية، ولك المثل.
– اتفقنا.
في أثناء ذلك بدأ الديكة صياحهم معلنون عن بزوغ فجر جديد، أيقن سلمان أن وقت ذهابه قد حان:
– قبل ذهابي أعلميني لماذا ترغمين نفسك على كل هذا؟
– لا أرغم نفسي على شيء يا هذا، أخبرتك قبل ذلك أني أحب سماع ألحان المبتدئين.
– بدأتي في استفزازي ثانية، لا تنعتيني بالمبتدأ بعد الآن فأنا الم..
أدرك أن سخطه تمكن منه فصمت.
قالت بتعجب:
– من أنت؟!

عاد إلى رشده وهدوئه المعهود وأخذ النفس الأخير من غليونه ونظر إلى وجهها الفاتن وابتسم بخبث:
– القاعدة الثانية لا حديث عن الأمور الشخصية.
أدار ظهره لها وهم ذاهبا، رفع يمناه ونطق كلماته الأخيرة تلك الليلة:
– تصبحين على خير أميرتي
ورحل.

***

حسناً، حسناً أعلم ما يدور في خلدك الآن أيها الشقي. على العموم أنا لست بارعا في وصف النساء ولكني سأحاول، كمعظم فتيات السكارى كان زيها عباره عن فساتين، فساتينها أثمن من لباس العامة بكل تأكيد تتميز ألوانها بالبهجة، أظنها كانت تفضل اللون الوردي.
جسدها أطول من المتوسط بقليل ليست نحيله ولا ثمينه،تمتلك هذا القوام الممشوق الذي يتخلله بعض المنحنيات.
أحذرك لو حاولت أن تسترق النظر لأحد مفاتنها قد يصاب وعيك الخاص بالخلل.
عيناها لؤلؤتان صافيتان يتخللهما زوج من الياقوت الأسمر، أجمل أسمر رأته عيناي.
شعرها لم أراه دائما ما كانت تضع ذاك الوشاح أعلي رأسها

ولكني بالطبع اختلست النظر لبعض خويصلاتها التي خانت وشاحها وهربت منه، كان أسود ناعم كالحرير، تعلم لو أخبروني أنه لم يتبقى لي سوى وجبة أخيرة فقط قبل وفاتي ومنحت حق التمني، في الحال وبلا تفكير سألتهم شفتاها، وزين هذا الحسن كله بتلك المسحة، مسحة غرور الأميرات، رغم ذلك سلمان لم يفتن بها ولا بجمالها، أعتقد أنه لا يهوى الفتيات، أظنه يفضل النساء كاملات الدسم، وربما تملكت أخرى من فؤاده في زمن ما، حسناً دعك من كل هذا، فالآن سأطلعك على سري الأول، حتى الآن البدوي نجح في التلاعب بعقل الأميرة، استدرجها لكي تصغي معزوفاته.

لماذا؟ لا أعلم، وهو كذلك لا يعلم.

***

توالت الأيام بعد ذلك والعازف سلمان يحج إلى قصر الجبار عثمان متخفيا عند انتصاف الليل يومياً، يلقى على مسامع ياسمينة الأميرة ألحانه التي أنجبها خياله في وقتها، ويذهب بعد ذلك قاصدا خيمته مفكرا أي لحن سيعزف غداً، بعض الليالي تبادلا الألحان، وفي ليالي أخرى تناقشا في أمور تخص فنهم، لم يتبادلوا أبدا أطراف الحديث كالعامة، موسيقاهم كانت تتحدث عنهم.

– سلمان أخبرني لماذا جعلت من عودك لسانك؟ ما السر أنك

تفضل أن تتحدث عنك ألحانك؟
– لا يوجد سر أميرتي، ببساطة هذا يجعلني أبدو لبقا، دعك من ذلك، أخبريني ما رأيك في معزوفتي التي انتهيت منها للتو.
– جيدة إلى حد ما.
– لا أحب عبارات الإطراء، أين النقد؟
– أشعر أن ألحانك يطغى عليها الغموض أحياناً أشعر ببعض التيه.
– حسناً، فأنا أتعمد ذلك لا أريد أن يكشف أحداً ما يجول في خاطري.
وأضاف ضاحكاً:
– رغم أنك جمهوري الوحيد، حسناً فربما تفهميني بعد زمن.
– وهو كذلك، أتعلم؟ أشعر ببعض الانهاك اليوم ولا أقوى على النوم.
– وأنا كذلك منهك دائما ولا أنام إلا نادراً، ربما غيري يفيدك في أمر كهذا.
أشاحت بوجهها:
– حسناً.
– أتعلمين أكثر شيء أمقته أميرتي؟ أن أشكو لأحدا ما مصابي فيزيد علي.
بتعجب:
– لا أعلم ماذا أقول.
– لا تقولي، تصبحين على خير أميرتي.
– وأنت كذلك عزيزي.

جفت حشائشه، ماتت غنيماته كذلك، لم يعد يسقها ولا يطعمها نسيها كما نسي هويته، تناسى حقيقته، هل هناك متسللين غيره، هل ألحانه جيدة أم لا، هل تعجب أميرته حقاً، هل تشفق عليه ولهذا تسمعه، أم أنها وجدت من أنغمه شيئاً مسليا فقط يؤنس وحشة ليلها، لم يهتم العازف بكل تلك التساؤلات التي وجدت لنفسه سبيلاً بضع مرات وربما أكثر بعد ذلك، كان ينتظر معزوفاتها بفارغ الصبر فهي لا تعزف إلا قليلا هذه الأيام، ولكن إذا عزفت أصابت ألحانها فؤاده خير مصيب.

اليوم ستقدم الأميرة لحنا جديداً لشعب السكارى في بيت الفنون،وبالفعل صديقنا لم يفوت الموعد، ها هو هناك بين الجمهور مرتديا جلبابه البني وشاله الذي يحمل نفس اللون ولكنه داكنا بعض الشيء، صعدت الأميرة إلى المسرح ألقت التحيه على جمع الحضور وبدأت العزف، كلما تسلسل الشعور إلى نفس العازف سلمان أن عوده قارب إبداعه موسيقي ياسمينه، سرعان ما يندفن هذا الشعور عندما تبدأ أناملها الرقيقة الغناء، أنهت معزوفتها، حياها الجميع بحماس كبير، ألقت كلماتها المشهورة ونزلت من على مسرحها وتركته ليافع يلقى شعرا، تتمشى بدلال وسط الحضور هذا يحيها وذلك يثني على جميل موسيقاها،وذاك يغازلها، حتي أبصرت البدوي فزادت من خطواتها نحوه ولكن قبل أن تصله ببضع مترات ظهر أمامها شخص ما وأوقفها، لم يتبين سلمان وجهه، فوجه الدخيل كان موجها نحو وجه الأميرة، هذا الجسد فقط هو من يفصل البدوي وأميرته عن بعضهما البعض.

حدث سلمان نفسه:
"من هذا الفارس، فزيه ليس بغريب على، أظنه فارس ذو مكانه عاليه في وطنه، ربما إذا التفت لي أتبينه."
نوى مغادرة المكان خشية أن يراه هذا الفارس فلباسه مألوف بالنسبة له، قد يكتشف أمره، ولكن همهمات حديث الفارس الغريب مع أميرة السكارى ياسمينه جذبته فاسترق السمع لما يقال.
الفارس: لقد منحتك وقتا كافياً جدا للتفكير، ألم تقرري بعد حبيبتي؟
الأميرة: لست حبيبتك، وأخبرتك مسبقاً أني لن أتزوجك أبدا.
الفارس: لماذا؟ هل لك عاشق آخر؟
الأميرة: لا يعنيك، انس هذا الأمر، اسمح لي بالذهاب من فضلك.
الفارس بحده: ليس قبل أن تخبريني لماذا ترفضينني، وألاف مثلك رهن إشارة من أصبعي.
وهنا تدخل أمير السكارى مالك ابن عم ياسمينة.
الأمير مالك السكارى بابتسامة يتخللها بعض الشماتة: أنت مرفوض، ألا تفهم؟ فلتذهب أيها المتطفل، ألا يكفيك هذا.
الفارس: لن أذهب إلا..
قاطعه الأمير مالك: حسناً لا تذهب، أتريد أن أخبر عمي الجبار بأمر وقاحتك في حق أميرتنا؟
أثناء ذلك لاحظا شرود أعين الأميرة ياسمينة، التفت الفارس مفاجئا سلمان فما كان من البدوي غير أن أشاح بوجهه للجانب الآخر، وفي ثوان ذاب بين الحضور وتوجه إلى باب القاعة في

عجل وغادر عندما أيقن من يكون هذا الفارس.
الفارس: أيعقل؟
الأمير مالك: ماذا هناك؟
الفارس: لست متأكدا، حسنا، يجب أن أذهب حالا، وداعاً.
– الأمير صالح النمطي، حسناً لم يحن موعد مواجهتنا بعد يا صديقي اللدود.

النمطيين

منذ ثلاثمائة وخمس وعشرون عاما كان يحكم مملكة النمطيين أحد أكبر الممالك عدداً ومساحة الملك جلال الدين بن أحمد النمطي وقد رزقه الله بتوأم أسماهما نور الدين وفخر الدين، شعب النمطيين يعملون منذ قديم الأزل في الأشغال والحرف التقليدية التي يستقيم بها حال أي شعب ولكن لا يتقدم ولا يتزحزح إلى الوراء هم في الوسط المريح.

تنقسم مملكتهم إلى إقليمين، الإقليم الأكبر الشرقي والإقليم الأصغر الغربي يفصلهما بحيرة سارون، بعدما تقدم العمر بالملك جلال الدين وأصيب جسده بعلة ولم يعد قادراً على مباشرة جميع شئون الحكم ولم يستطع أن يتبين خليفته من ولداه بعد، قرر أن يقسم بينهما شئون المملكة ويصبح دوره المراقبة والإصلاح وتبين من الأجدر بحمل تركته الثقيلة فمنح حكم الإقليم الغربي للأمير فخر الدين والشرقي للأمير نور الدين وأخذ يراقب.

عكف الأمير فخر الدين على تطوير العلوم كالطب والمعمار وأخذ يحاول استحداث أسلحة وأساليب جديدة للزراعة والحياكة وكل شيء وآمن بأفكاره الكثير، أما نور الدين فكان نمطيا في كل شيء حافظ على القديم وأخذ يدافع عنه ودعمه الأغلبية.

وافت المنية الملك جلال الدين ولم يكن قد استقر على ولي عهده فهو كان في أشد الحيرة فهذا له مؤيدوه وهذا له متعصبوه، موت الملك لم يغير من الأمر شيء ظل الأمير نور الدين يحكم الإقليم

الشرقي والأمير فخر الدين يحكم الغربي وبدأ العامة من هنا وهناك الانتقال إلى الإقليم الذي يرضي عقولهم، مع مرور الزمن ولدت الأحقاد وتنامت الضغائن بينهم، توالت العقود وأصبح الأمير ملكا والإقليم مملكة وبحيرة سارون أضحت بحيرة فاصلة فهي تفصل بين الجدد والقدامي.

النمطيين القدامى ظلوا قدامي والجدد حادوا عن عهد فخر الدين الذي أراد لهم التطور، إنهم يستحدثون الأزياء الجديدة كل عام وكذلك أشكال بيوتهم وكثير من التفاهات الأخرى، جددوا مظاهرهم ولم يجددوا أنفسهم، مظهر حياتهم براق وحياتهم ليست كذلك ما هم إلا مجموعة من النمطيين يرتدون ثياب مزركشة تتجدد كل عام، وربما لهذا لم يوقن سلمان الأمير صالح عندما رأه من أول وهلة.

في صغره حدثته إحدى عرافات الغجر بنبوءة غامضة مبهمة:

"درب المجد يبدأ بقتل النمطي، قتل النمطي يعني هلاكا أبديا، لا تقتل النمطي يا ولدي، لا تقتل النمطي يا ولدي، لا تقتل النمطي"

الفصل السادس

تأكد سلمان أن قافلة النمطي قد غادرت أرض السكارى وذهب لأميرته.

– لماذا تأخرت أيها البدوي؟

– كان هناك بعض الأعمال يجب أن أنهيها.

– حسنا اعلمني ماذا بينك وبين الأمير صالح.

– أي صالح هذا الذي تتحدثين عنه؟

– أمير النمطيين الجدد.

– لا أعرف عن ماذا تتحدثين؟ فما بال راعي ماعز مثلي بأمركم أنتم الأمراء؟

– لا أعلم، ولكني شعرت أنه انزعج عندما رآك.

– ربما اختلط عليك الأمر أميرتي، ولكن أخبريني من أين جئت بتلك المعزوفة.

– حقا، هل أعجبتك معزوفتي التي ألقيتها اليوم في قلعة المبدعين.

– حسناً الآن أستطيع أن أدعوك عازفتي.

– أنا كذلك بالفعل منذ زمن أيها الحاذق.

– بالفعل، إنها رائعة،لقد شعرت بها ولامست روحي.

– أنا سعيدة لسماع ذلك منك، شكراً لك سلمان.

– أنت من تستحقي الشكر أميرتي.

– ولكن لماذا ذهبت مبكرا؟ كنت أريدك أن تعزف اليوم هناك في قلعة المبدعين.
اعترت ملامح وجهه شيء من العبوس وفكر قليلا ونطق : – أتقطعين لي عهداً أميرتي؟
– ماذا؟
– عندما ألقى على مسامعك معزوفتي الأخيرة وأرحل، فلتنسي كل ألحاني ولك الحق في عزفها مرة أخرى لنفسك فقط وتمحيها من ذاكرتك بعد ذلك للأبد.
– لك هذا، ولكن أخبرني كيف سأعلم أنها معزوفتك الأخيرة.
– لن تعلمي أبدا، تصبحين على خير.
توالت ليالي العازف وأميرته، تلك الليلة أخبرته أنها لم تعد تشعر بالتيه في ألحانه، ليله أخرى أخبرته أن معزوفته راقتها، وأخرى حدثته أنها جيدة، والليلة صفقت له من أعلى شرفتها.
القمر مكتمل بدرا الليلة.
– من أين لك بهذا الخيال سلمان؟
– خيالي مريض
– لا تقل ذلك، خيالك رائع عزيزي، إنه هبة من المولى.
– دعك من هذا، هل فهمتي معزوفتي؟
– ماذا تقصد؟
– أخبريني عن أولها إلى ما كنت أرمي؟
– لا أعلم ماذا تريد أن تقول.
– نعم نعم، وأكمل بحده:

– أنت تأخذين المعنى السطحي لألحاني لا تتعمقين في مضمونها أبداً.
ابتسمت وكأنها تمتص غضبه وتحدثت بشيء من الهدوء:
– حسناً عزيزي، ربما لا أستطيع مجاراة غموضك، فسر لي إذا إلى ما ترمي معزوفتك وكلي أذان صاغيه لك.
زفر أنفاسه الغاضبة وعاد إلى بعض من هدوئه:
– لا تغضبي أميرتي، في بعض الأحيان سخطي يتمكن مني.
– لا عليك سلمان، أخبرني عن هذا النقش.
– أي نقش؟
– النقش الأجنبي الذي يزين عودك.

***

زادت لياليهم عن المعقول، توطدت علاقتهم كثيراً، لا أعلم حقاً ما أبعاد تلك العلاقة، وكيف تسير بداخل طرفاها وما أثرها عليهم الآن ومستقبلا، حقاً حتى الآن لا أعي ما يحدث.
ولكني أذكر تلك الليلة جيداً، جوها ماطر، لا يحمل أي برودة، نسمات من الهواء الربيعي العليل الجميل الذي يحمل رائحه الورود مما جعلها تنتشر في كل أرجاء المكان، دائماً ما كان طقس عالم السكارى جميل معتدل نقي، أظنه اكتسب نقائه من نقاء شعبه، وكيف لا ونحن في عالم كل امرئ فيه من حقه أن يمارس ما شاء من عمل أو هواية.

هذه الليلة عزف البدوي أكثر من معزوفة وأثنت أميرته على موسيقاه بشدة، وأخذا يتبادلا أطراف الحديث حتى مطلع الفجر.
– الليلة أعتقد أني أفضل عازف خطت قدماه هذه الأرض.
– لك حق الاعتقاد.
– أظن أميرتي لا تحب المزاح.
– ومن في العالم لا يحبه.
– لم أقابل كل ساكني العالم حتى أعرف، ولكني أوقن أني لو ألقيت دعاباتي عليهم فسيعشقونها ويهيمون بها.
– لا أبدى إعجابي بشيء يتفاخر به صاحبه.
– فهمت، فهمت، أنت تحبين مزاحي ولا تظهرين لي ذلك.
– ربما وربما لا.
– حسناً سأذهب الآن، تصب..
– لا، لا تذهب الآن.
– لماذا؟
– لا أريدك أن تذهب، ابق معي قليلاً.
– دعيني أفكر في هذا الأمر.
– حسناً كما شئت.
– أعطينني سبباً وسأبقي.
فكرت لوهلة:
– فلتعزف لي لحنا آخر.
– لا، لحن واحد فقط في الليلة يكفي.
أردفت بدلال:

– لحن آخر فقط لأجل أميرتك عزيزي.
– حسناً حسناً، لك هذا.
وأضاف مازحا:
– قلبي يبكي الآن، سأعزف لحنا يجول في خاطري منذ أيام هو من نوعية تلك الألحان التي لا تستهويك ربما غامض بعض الشيء وأظنك لن تفهمينه، وأتمنى ذلك أيضاً.
عاود سلمان الجلوس تحت نفس الشجرة وللمرة الأولى ينظر لعينيها مباشرة أثناء عزفه لم يبعد عيناه عن عينيها لحظة.
انتهى من معزوفته وهم واقفاً ومازال ينظر صوب مقلتيها اللتان اغرورقتا بالدموع، أظنه لو ظل دقيقة أخرى لنزلت إليه من شرفتها وهرولت تجاهه وبكت بين أحضانه.
– تصبحين على خير أميرتي.
في تلعثم وخجل ومحاولات فاشلة لمنع دموعها:
– وأنت كذلك عازفي العزيز.
ودعته وخلدت لسريرها لتحظي بنومة تمنت أن تكون هنيئة.
هم البدوي متسللا أسوار قصر الجبار قاصدا الذهاب وأثناء ذلك أخذ يفكر:
"ماذا سأقدم لك غدا أميرتي أي معزوفة يا ترى فمئات الألحان تطوف خلدي."

هو خارج حدود القصر الآن سالكا درب عودته قاصدا خيمته، ممنيا نفسه ببعض الراحة فلقد أنهكت روحهن الشوارع فارغه

في هذا الوقت، شعر أن هناك من يتعقبه نظر للخلف فلم يجد شيئا، واصل سيره، إنه الآن في هذا التقاطع طريق يؤدي إلى أرضه والأخر إلى النهر، وقف ثوان ثم التفت للخلف بسرعة فلم يجد إلا كلباً نظر له وابتسم، وفكر لوهله وقرر أن يسلك درب النهر، يريد أن يستمتع بكل تفاصيل هذه الليلة.

ها هو أمام النهر والشمس تشرق يستنشق هواء نقيا عليلا يفتح ذراعيه ويغمض عينيه كأنه يحتضن الشمس بل يحتضن الكون أجمع، أظن لو أن شخصاً قام بدفعه من الخلف الآن فلن يسقط في النهر بل سيطير محلقا عاليا سيلامس السماء ربما، شعور غامر بالنشوة يتملكه، إنه يشعر بالنشوة الآن، نور يولد داخله يشق ظلامه، شيطانه يصارع جنين شغفه، يتألم لهذا يمزق، إنه يشعر بالسعادة، إنه منهك كذلك، إنه يشعر، إنه يتألم، يفرح، هناك سعادة وكذلك حزن،إذا هناك إحساس، عازفنا يشعر أن إنسانا ينمو بداخله، دائما ما مقت تلك الصفات البشرية، أيلعن بها الآن؟ الآن أصبح على يقين أن هناك شخصا ما يتتبعه، التفت متفاجئا في ريبة عندما قامت تلك اليد بالقبض علي منكبه بقوه وشراسة، اعتلت الدهشة ملامح وجهه عندما أبصر ملاحقه، أطلق كلماته في عجب

– من؟! الماهر سمعان البصاص؟!

– عين البصاصين الآن يا صديقي القديم.

وتبادلا العناق الحار فلقد فات على آخر لقاء جمعهما ما يزيد عن العام.

– كيف حالك لم أرك منذ زمن؟
– بخير، أتجول كالعادة.
ابتسم بخبث وأكمل:
– فلتصفها لي أيها الوغد.
بتلعثم واضطراب:
– من؟ لا أفهم مقصدك؟
– عدت لتمارس ألاعيبك مجدداً يا سلمان، حسناً، حسناً، فلتخبرني كم مرة ضاجعتها الليلة فأنا أنتظرك منذ ساعات، منذ أن تسللت قصر الجبار أيها الحقير.
خيم الصمت على البدوي واعتلت ملامح الصدمة وجهه، فلقد كشف سمعان سره ولا حيلة له أن يقنع أمهر البصاصين بعكس الحقيقة
– لا تخبر أحداً بهذا أبداً يا صاحبي.
بتعجب:
– منذ متى وصديقي المحارب يخشى البشر؟
– لا أخشى أحداً ولكن لا تتحدث مع آخر في هذا الأمر عدني.
– وهو كذلك ولكن ليس قبل أن تخبرني.
– أخبرك ماذا؟
– منذ متى وأنت تنكحها وهل هي من النوع المفضل لي، هل تلك الوصيفة سمينة؟
نظر له سلمان مطولا في استغراب وراحة وغلبه الصمت.
– ماذا؟! لا، لا تخبرني أنك كنت تضاجع ملكة السكارى، فأنا

أعلم أنها بين أحضان جبارها الآن.
قهقه بشدة:
– لا هي إحدى الوصيفات بالفعل، ولكنها ليست سمينة.
– صفها لي إذا تلك التي حملتك على مخاطرة تسلل قصر الجبار.
– أجمل من أن يصفها لساني.
– لا أعلم لماذا الحسناوات يقعن في غرام أمثالك يا وغد البدو، هل تناسيتها يا صديقي؟
مغيرا دفة الحوار:
– اعلمني كيف حال زميلك عبد الحميد؟
– لن أخبرك، فأنت تعلم القواعد أيها البدوي.
ضحك سلمان بعنف:
– نعم، نعم، أعلم كل هذا الهراء عن قواعدكم.

***

باختصار شديد، إذا أردت أن تعرف أسرار أي مملكة أو أن ترسل شخصا لاستدعاء محارب قوي أو قاتل مأجور لتستخدمهم في غرض ما، فما عليك سوى أن تستدعي بصاصا وسيأتيك بأجودهم، ولذلك كانت علاقة البصاصين بمملكة البدو علاقة قويه وطيدة مبنية على المنفعة المتبادلة، فالبصاصون يرون أن أرض البدو خصبة لعملهم، فهي تفيض بأجود أنواع السلع التي يبغونها من محاربين وقتلة، وكان البصاصون أيضاً نابغين في علم التجسس

والتخفي، البصاصون كان لهم بعض القوانين التي تجمعهم ويؤمنون بها ولم تشهد العوالم حتى الآن أي بصاص سولت له نفسه وفكر أن يخرق أحد هذه القوانين واهمها شرف البصاص، وشرف البصاص إكمال مهمته أيا كانت العواقب، حتى إذا تصادفت المهمات ووقع بصاصان في مواجهة بعضهما البعض فلا عواطف بعد الآن، كل يسعى لإكمال مهمته حتى لو كان الثمن رقبة صاحبه، لهم زعيم واحد فقط يسمى عين البصاصين وهو الموكل بتوزيع المهمات ويراعي الحذر دائما أن لا تتداخل مهمتان في هدف واحد، ولا يعلم أي بصاص ما المهمة الموكلة لزميله،العين فقط هو من يوجههم وله حق المحاسبة، وكانوا يسكنون الوادي المخيف وادي تمايا الذي لا يوجد فيه غير قلاع البصاصين فلا أحد يعلم ما حقيقة هذا الوادي الغامض ولا يجرؤ إنسان أن يقترب منه.

كيف دخل البصاصين إلى وادي تمايا؟ كيف بنوا قلاعهم علي أرضه؟ كيفوا يتعايشون فيه؟ لا أحد يعلم، فهذا أحد أكبر أسرار البصاصين وربما سرهم الأعظم، وأصبح الماهر سمعان منذ فترة قصيرة وفي ظروف غامضة عين البصاصين، وكان سمعان صديق قديم لسلمان، خاضا سويا الكثير من المغامرات، مغامرات لم تكتب بعد.

****

توقف سلمان عن الضحك وأردف:

دعك من كل هذا، ونظر لصديقه بطرف عينه وتسائل في عجب: ماذا تفعل هنا في أرض السكارى يا سمعان، لا تخبرني أنها صدفه.

– ليست صدفه.

– من أرسلك إذا؟

– مغواركم غانم.

– ولماذا أتاني عين البصاصين بذاته.

– لقد دقت الطبول.

في ضيق:

كفاك مماطلة، أي طبول التي تتحدث عنها؟

– طبول الحرب، معركتك على وشك البدء أيها المحارب.

تفاجئ البدوي سلمان من الجواب رغم أنه في نفسه كان يوقنه، وصوب وجهه نحو النهر ، ربما عين البصاصين مازال يتكلم ولكنه لا يسمعه، إنه تائه في غياهب نفسه الآن.

بعد دقائق من الصمت أثار تعجب سمعان نطق سلمان:

– أمازلت مصرا على رأيك يا أخي ولن ترافقني في طريقي إلى المجد؟

– أي مجد الذي تتحدث عنه أيها الفاني؟ لا أريد أن أموت الآن.

وبنبرة أقل حدة:

– حتي تجد علي الأقل أحداً يترحم عليك بعد مقتلك، فلن يفعلها سواي ولا أظن أن أحدا آخر سيفتقدك.

– حسناً كما تريد يا صديقي.

– لا أعلم حتى لما ترغم نفسك على خوض كل هذا، هل تصدق

أنك محارب فعلا، أنا لا أراك كذلك، فأنت مختلف تماماً عن كل أنواع المحاربين القدامى،لست سوى قاتلا يا سلمان حتى أنك لست مأجورا فتكسب من سلب حيوات أعدائك.

– أنا محارب على طريقتي، أنا أصنع مدرستي الخاصة، أوقن أنه في المستقبل البعيد، سيحتذي الكثير بحذوي أنا العظيم سلمان البدوي.

– كفاك أوهاما يا صاحبي، أعلم أن لا سبيل لي لإقناعك الآن، فمعركتك على الأبواب.

ساد الصمت دقيقة فكل منهم يجمع شتاته من أثر هذه الكلمات على ملقيها ومتلقيها فرغم أن سمعان شارك المهيب إحدي الخطط ولكنه في دواخله يعلم أن الأمر أشبه بالمستحيل.

– انتهى وقتي هنا سأذهب لمملكتكم لكي أتم مهمتي، هل سترافقني؟

– حسناً، سأنهي بعض المسائل فقط وأخلفك، أخبر المغوار أني لن أفوت بداية المعركة.

– قبل ذهابي، ألن تخبرني ذاك السر؟

– أي سر؟

– سر الغجري.

– أي غجري؟

– المجنون ساكن الكهوف، كيف علم أن بعض الجماهير لم يفهموا كلمات قطر الندى؟ كيف كشف خداع عنتره ووضاعه العامرية؟ وعدتني أنك ستخبرني عندما نتقابل مجددا، وها نحن يا صاحبي.

رفع سلمان حاجبه الأيمن لأعلى وابتسم بخبث وغرور:
– يا صديقي إذا أردت أن تأكل كبد الشيطان، فلابد لك سوى أن تصبح أبلس من إبليس.
– ألغاز ألغاز ألغاز، لن أفهم تلك القصة أبدا.
– أتمنى ذلك،ولمعلومك أيها الماهر ليست هناك حكاية لتروي من الأساس.
هز سمعان رأسه مدعيا الفهم:
– فهمت، وداعاً أخي، ربما لا نلتقي مجددا.

***

أنسيت هويتك أيها المحارب، هل ضللت طريق ساحات القتال، تجاهلت ماضيك، ماضيك يلاحقك أيها الخاسر فلتربح معركتك أو مت وأنت تحاول، عودك، ألحانك، ياسمينه أميرتك، هل تملك من القوه ما يجعلك تفكر في تركهم، توديعهم؟
أنا القوى الشجاع محارب البدو سلمان، لا أتعلق بالأشياء، ليس هناك بشرى قادرا علي أسرى ولا حتى جني، سأذهب هذه الليلة فقط لألقي وداعاً، ولتبدأ المعركة.
هكذا عنف عازفنا ذاته.

***

بعد ساعات في مملكة النمطيين القدامى، وأمام البوابة الكبرى لهذا القصر الفخم، ثالث أجمل قصور القدامى بعد القصر الملكي وقصر ذلك الثرى علوان الزمردي يقف هذا الرجل المتوسط الطول الذي يبدو أنه في منتصف عقده الرابع ذو الشعر البنى الطويل الناعم والأعين الخضراء والوجه الدائري الأبيض الذي يتزين بذقن خفيفة يرتدي زي القتال البرونزي وبصحبته اثنين من معاونيه الفضيين وبعض حراسه

يأتي هذا الصوت من الجانب الأخر للبوابة:

"افتحوا الأبواب لقائد الجيوش محمود"

يدخل القائد محمود بن حسان ورفقته، يحيي الجميع بابتسامة لطيفة رسمت على محياه يتخللها بعض القلق حتي يصل إلى أبواب القصر فيدلف إلى داخله هو ومعاوناه فقط ويوصد حراسه الأبواب وينتظرون بالخارج، يتوجه مباشرة نحو أكبر غرف القصر ويطرق بابها فيأتيه هذا الصوت الأجش العميق من خلف الباب آذنا له بالدخول، يترك معاونيه خارج الباب ويدلف إلى الغرفة، فيبدأ صاحب الصوت الأجش العميق الكلام:

– علمت أنك ستأتي، فلم يعد غير القليل.

ينحني ويمسك بيد هذا الرجل المسن الذي يبدو عليه أنه يمتلك كثير من الحكمة وربما كان عظيماً في زمن ما ويقبلها:

– كيف حالك أيها الصامد.

– نشكر الله على السراء والضراء يا ولدي، ولكن ليس سبب مجيئك الآن هو الاطمئنان على.

– لقد اقتربت أبتي، إنها أول حرب حقيقية أخوضها.
– ما أعلمه عنك أنها ليست أولي معاركك وإلا لما كنت قد وصلت لهذه المكانة التي أنت بها الآن.
– وهل تطلق على مطاردات اللصوص والصعاليك معارك، حتى مواجهات جماعات الهجامة ليست جديرة بنصف الكلمة.
ونظر إلى الأسفل وتحدث بنبرة تشعر فيها بالإحباط:
– أظن أن المكانة التي أنا بها الآن لا أستحقها، إنها بسببك أبي.
رد عليه في عنف فكلماته الأخيرة أثارت غضب أباه بشدة:
– لا تقل ذلك، لقد وصلت لهذه المكانة بمجهودك وإخلاصك ولا تعتقد أني أفضل مصلحتك على مصلحة شعبنا، فلو أرى أنك غير جدير بها لكنت أول من تصدى لك، ما بك يا ولدي هل تخشى هؤلاء الرعاع شراذم البدو؟ إنهم مطاريد.
– أنا لا أخشى أحداً أبتي أنت تعلم ولكن..
– لكن ماذا؟ دعك من هواجسك فأنا أثق بك وشعبنا يثق بك وتاريخنا مع البدو طويل فلكم أذقناهم المرارة على مر العصور ولكن لا تستخف بخصمك أيضاً يا ولدي.
– حسناً أبتي فهمت.
– هل جئتني لأخبرك أنك قادرا على سحق نسل بني الأشعث المتمرد المتمردين فقط؟
– لا بل جئت طالبا النصح.
– إذن فلتبدأ.
كان هناك عادة قديمة بين القائد محمود ووالده وهي أن محمود

يلقى كلمات مقتضبه وأبيه يجيبه باستفاضة، عادات الطفولة كما يقولون، ولكن القائد لم يتحدث بكلمات بل ألقى أسماء!

– المغوار؟

– غانم، رغم أنه من البدو ولكنه لا يشبههم تقريباً، فإنه ينهل المدرسة القديمة المسماة بالمدرسة الحديبية نسبة إلى المحارب القديم حديب ابن عدنان باختصار سيواجهك وجها لوجه إما أن يقتلك أو تقتله، لن يلجأ إلى أي خدع، فهو يؤمن بالحديبية الجامدة ولن يحيد عنها، هو محارب شديد البأس يمكنه التغلب على عشرة رجال بمفرده، ولكنه قليل الدهاء، وربما يملك الدهاء ولكن حديبيته قد تمكنت من عقله.

– المهيب سيف الله؟

– المهيب..

فكر قليلا وتكلم بنبرة هادئه نسبيا:

– يبدو لك هذا الرجل طيباً هادئاً وقورا لا يجيد أمور الخداع والألاعيب، ولا يعلم شيئا عن فنون الحرب، هو كذلك بالفعل لكن آخر صفتان كذب، سيف الله يمتلك عقلا فذا لا يستهان به ولن يقدم على هذه المعركة الخطيرة التي قد تكون سبباً في إبادة قومه –وهذا ما سيحدث على يديك إن شاء الله يا ولدي– إلا ويكون قد استعد لها خير استعداد وأعد العدة جيداً، احذر المهيب يا محمود أنا متأكد أنه سيكون حاضراً في أرض المعركة فهو ليس كالشريف البدين ملكك.

– الخاسر؟

– دعك منه فأنا أكثر من يعلمه فرغم ما سببه لي من جراح ولكنه لا يخشى، الطبع غلاب يا ولدي، هذا الهوائي سيخذلهم كعادته، ولكن في ساحة القتال كن فطنا له ربما يحاول الغدر بك.

– المنصور؟

– انتهى.

– الزعيم سالم؟

– زعيم الحرس الخاص بسيف الله أليس كذلك؟

– نعم هو.

– عصافيري لم تأتني بأي أخبار عنه غير أن المهيب يثق به أكثر من أي شخص آخر، إنه خزينة أسرار البدو كما يصلني ولا أعلم أكثر من ذلك، كن يقظا لهذا المجهول.

– انتهت أسئلتي، هل من نصيحة خاصة تريد إخباري بها أبتاه؟

– الآن أنت أصبحت ملم بأعدائك بشكل كبير ولكن الأهم أن تكون ملم بأمور رجالك فهم أشد خطراً عليك من أعدائك.

– لا تقلق فأنا لا أمنح ثقتي إلا لمن يستحقها.

– يا ولدي القائد الجيد هو من يظهر ثقته للجميع ولا يمنحها لأحد.

القائد محمود إبن حسان بالفعل كان فارسا جيدا ولكنه ليس بالفذ كذلك، ربما لو أنه حظي بمزيد من الثقة والإيمان بنفسه لأصبح أحد أبرز فرسان جيله، ولكن دائما ما ساورته الشكوك أن تلك المكانة المرموقة التي يحتلها وصلها بسبب سيرة أبيه العطرة

وحب الناس له ونفوذه، وهذا ليس بصحيح ربما يكون هذا فعلا واحداً من الأسباب، وربما القدامى يمتلكون محاربين أقوى منه ولكن محمود يستحق لقب قائد جيوش القدامى بالفعل لأسباب أخرى، القائد محمود كان ملما بكل أخبار البدو ولكنه كان يريد التوغل داخل عقل أعدائه، ولن تجد أفضل من قاهرهم ليخبرك دواخلهم، إن عقله يتفق مع كلام والده إلا في أمر المحارب الخاسر فهو منذ ذلك النزال في الجدول وهناك غصة في نفسه من ناحية سلمان.

– من معك بالخارج؟

– إنهما معاوناي على ابن علم الدين الصواف وقاسم.

– من قاسم هذا؟ لم أسمع عنه من قبل؟

رغم أن محمود يشك أن والده بالفعل يعلم بأمر قاسم من قبل ولكنه أجابه.

– إنه فارس كفء وأحد أكثر رجالي إخلاصا وذكاء.

– ينتمي لأي عائله هو؟

– ليس له عائله أبتي، ولم ينشئ بيننا يقول أن نصفه نمطي ونصفه غجري.

– استدعيهم يا محمود أريد أن أتحدث معهم قليلاً.

أتى القائد بمعاونيه المحارب على الصواف والفارس قاسم، انحنا احتراما لوالد القائد الذي وجه كلامه إلى ابن الصواف.

– كيف حال أبيك يا علي؟

أجابه المحارب:

– بخير حال سيدي، يرسل لك تحياته.
ووجه حسان كلماته التالية ناحية قاسم الذي مازال منحنيا في احترام:
– ارفع رأسك يا فتى
رد قاسم:
– عذرا سيدي، لا أستطيع استيعاب أني بالفعل أقف في حضرة العظيم حسان.
لم يعر حسان أي اهتمام لكلمات التبجيل هذه وأكمل:
– منذ متى وأنت تحارب تحت رايتنا أيها الهجين؟
– منذ عام يا سيدي.
– عام فقط؟!
– نعم.
– لابد أنك في غاية البراعة إذا.
وأردف
– لقد حدثني قائدك أنك لم تنشئ بيننا، فلتخبرني قصتك يا فتى.
وهنا نطق القائد:
– يا أبي إن قاسم..
قاطعه والده وتكلم قاصدا إظهار الاحترام:
– بعد إذنك أيها القائد، أريد أن أسمع منه، أخبرني حكايتك كامله يا قاسم!
رفع قاسم عينيه إلى الأعلى وتحدث بأسي:
– أنا قاسم، قاسم فقط بدون اسم أب أو اسم عائلة أو كنية،

أنا قاسم الهجين اللقيط النغل ابن الزنا، منذ نعومة أظافري وأنا أهان وأذل بسبب خطيئة ليس لي يد فيها، نزوة شيطانية جمعت نمطي بغجرية هكذا أخبروني في صغري، نشأت بين الغجر، أمي وافتها المنية عند ولادتي وأبي لا أعلم عنه شيئا يذكر، كل ما أعرفه أنه نمطي، نمطي فقط لا أعلم حتى إن كان من القدامى أو الجددن عاملني قوم أمي في صغري بفظاظة وقسوة انتقاماً لخطيئة الزانية، عندما اشتد عودي وأكملت الرابعة عشر هربت منهم وأعتقدهم استراحوا لذلك حتى أنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء مطاردتي، سافرت بلادا وبلادا، أعمل خادما عند هذا وشيالا عند ذلك ومساعدا لذاك حتى حطت رحالي في مدن الساحل وبدأت العمل في الصيد معهم، وهناك تعرفت على أحد الصعاليك، مملوك الذي أقنعني للانضمام لجماعته وأنا ابن السابعة عشر، وهناك بدأت التدرب على فنون القتال، عشقت ركوب الخيل وأجدت استعمال الرمح وفي خلال خمس سنوات قوت شوكتي بين الصعاليك حتى حدث خلاف مع زعيم جماعتي كان يخشى أن أظفر بمكانه الواهن يوماً، كان يرى أني أصبحت تهديدا عليه، لهذا تركتهم فأنا لم أكن أحب هؤلاء اللصوص على أي حال، حاولت الانضمام لكثير من الجماعات الأخرى ولكني فشلت، كنت على شفى حفرة أن أصبح أحد البصاصين ولكني لم أنجح في اجتياز الاختبار الأخير، فقررت أن أعمل لحساب نفسي قررت أن أصبح قاتلا مأجورا وأثناء ذلك تعلمت الكثير والكثير عن فنون القتال واستراتيجياته فأنا أفعل كل شيء بمفردي، بقيت

على هذا الحال سنوات حتى سمعت أخبار مولد جماعات الهجامة وفكرهم الحديث، وهنا أثاريني الأمر فقررت الانضمام لإحداهم باحثا عن ضالتي، وبالفعل نجحت ولكني ضللت من جديد، لم أجدهم سوى لصوص سفاحين، سفاكي دماء، متسترون تحت عباءة المبشر وأفكاره، المبشر الذي لم يره أحد، أظنه ليس سوى كذبة اختلقها هؤلاء الآثمين ورغم ذلك لم أتركهم فأنا لن أطيق المضي وحيداً مجدداً، حتى أتى ذلك اليوم، اليوم الذي غير مجرى حياتي للأفضل، اليوم الذي سمعت به أن قائد جيوش القدامى سيقدم مكافأة خاصة إلى من يمده بأي معلومات عن جماعات الهجامة، وإذا صدقت المعلومات فله ما يبغي من أموال وكنوز، وهنا أخذت قراري بدون تفكير هذا اليوم، اليوم الذي قابلت فيه للمرة الأول المحارب على الصواف.

وبعد ذلك لم أطلب أموالا ولا كنوزا بل تمنيت أن أصبح أحد أفراد جيوش القدامى فقط.

***

الليلة وقبل أن يتسلل سلمان أسوار القصر، لاح أمام عينيه شخص يتحرك في الظلام، ظن في البداية أنه أحد الحراس ولكن ما إن رآه هذا الشخص هرول بسرعة هارباً وكان في إحدى يديه آلة موسيقى.

– يبدو أن هناك من يريد أن يحذو حذوي، ياله من هالك.

فرغ من معزوفته هذه الليلة.
– رائع كعادتك عزيزي.
أجاب بشيء من الدعابة:
– جزيل الشكر لك أميرتي.
ضحكت بشده:
– من أين لك بكل هذه اللباقة سلمان.
– الفضل يرجع لأميرتي.
– أريد أن أطلب منك شيئا عازفي.
– تفضلي.
– أريدك أن تأتي الأسبوع القادم إلى قلعة الفنون وتطلق العنان لموهبتك لكي يشهدها العالم.
– تبا للعالم، يكفيني أنك كنت شاهده على قصتي
وأكمل بتكبر مصطنع:
– يكفيك شرفا أن التاريخ سيذكر أنك المحظية الوحيدة التي أطربت أذناك بمعزوفاتي.
– سعيدة أني خصصت بذلك، ولكن أي تاريخ الذي تتحدث عنه، أنا سأقودك للتاريخ وسنبدأ الأسبوع القادم في بيت الفنون.
– تاريخي الخاص، فأنا أصنع تاريخا لنفسي فقط، ولن أعزف أمام غيرك، انتهى الحديث.
– لا لم ينتهي، هل تخجل أن تعزف أمام الناس؟! ظننتك أقوى من ذلك أيها البدوي.
– لا يهم.

– إذا أردت شيئا فلتنتزعه من أحشائه أليس هذا حديثك، ما بك الآن.
– ومن أخبرك أني أريد أن أصبح عازفا؟!
– الشغف الذي أراه في عيناك كلما أمسكت بعودك يخبرني بهذا.
– لقد خدعتك عيناي، فأولاوياتي في اتجاه آخر، لدى أمور أخري أهم.
– أي أمور تلك التي تتحدث عنها.
– لا يهم، أتمنى أنك لم تنسى وعدنا أميرتي.
– لم أنسى.
– حسناً
– ولكني لن أفي به على أي حال.
في صدمه:
– لماذا؟!
– كم عمرك عزيزي؟
– لن أجيبك، ولكن لماذا ستنقضي وعدنا.
في دلال ودعابة بهدف كسر حدة الحديث:
– أظن أنك أكبر مني ببضع سنوات، إذا لي حق الرجوع في وعدي بعدما فكرت باستفاضة.
واصل بأكثر حدة:
– لماذا كل هذا؟ هل ستمنحين ألحاني لأحد آخر لكي يعزفهم في قلعتك كما تدعين؟ حسنا حسنا، علمت هذا الآن، ستعزفينهم أنت، هل تبغين سرقة أفكاري؟! أحذرك من أن تفعلي هذا أيتها

السكارية.
أصيبت بالصدمة الشديدة والدهشة من وقع كلماته عليها:
– حسناً حسناً، سأنفذ العهد، وسأعتبر حديثك هذا ماهو سوى إحدى دعاباتك السخيفة حتى لا أغضب منك، تصبح على خير، لم يرد عليها وأشاح بيده وهم ذاهبا، لقد تعمد استفزازها لكي تنفذ وعدها، ولكنه كان فظا للغاية، إنه يدرك الآن مدى قسوته على أميرته هذه الليلة.
"أهكذا تقابل الإحسان أيها الوغد،يجب أن أقدم أسفي لياسمينتي الليلة القادمة، متى آخر مرة اعتذرت لشخص ما؟ لا أذكر، أظنني لم أعتذر أبدا رغم كثرة خطاياي"

***

الليلة كان أسفل شرفة الأميرة، ولكن هناك ليلة مفقودة في قصتي، ماذا حدث فيها يا ترى؟ لن أخبرك بها الآن، لم يتسلل عازفنا أسوار القصر تلك الليلة.
إنه يقف الآن أمام ياسمينة بجوار هذه الشجرة ولا يدري كيف يستهل حديثه، فهو غير معتاد على هذه المواقف، رغم أنه طيلة النهار يعمل على إتقان حوار الاعتذار ولكن لسانه خانه الآن وأصبح غير قادر على النطق كأنه أصيب بالشلل، أظنها أدركت ذلك فأخذت زمام الأمور وبدأت الحديث بحماس شديد لم يكن يتوقعه أبدا.

– أيها البدوي، ألم تصلك أخبار ما حدث بالأمس.
– لاحظت أن هناك حالة من الهرج والمرج بين العامة، يثرثرون أن هناك شيئا خطيراً جديدا على أرض السكارى حدث البارحة، ولكني لم أفهم شيئاً.
– لقد حاول اختطافي.
بتعجب شديد:
– من؟!
– صالح.
المحارب الآن لا يعقل ما يقال، زاغت عيناه في كل الاتجاهات شعور يتسلل إلى نفسه بأنه يستدرج الآن لشيء ليس بالهين، وأثر الصمت ووجه بصره نحو الأميرة بترقب.
"أي أحمق أنت حتى تغامر وتأتي الليلة يا سلمان."
– أردفت بأكثر حماس:
ألم أخبرك مسبقاً أن أبي يمتلك أفضل الفرسان، فلقد أيقن نواياه الدنيئة الأمير مالك وأمسك به قبل أن يتسلل إلى القصر هو ورفيقه وبارزه حتى تمكن منه وقتله، ولكن أكثر ما يحيرني، أي علة ابتلي بها عقل الأمير صالح ليقدم على فعلاً شنيعا كهذا، كنت أظنه أرقى من ذلك.
– إنها علة الهوي يا أميرتي.
نظرت له باستغراب ولا أعيب عليها فأي هوى الذي يتحدث عنه هذا الفظ،أيعلم حقا معني هذه الكلمة "الهوي"؟
ولكنها لم تعلق علي ذلك.

– يمكن، ولكن أخبرني أين كنت بالأمس؟
– تأخرت قليلا بسبب بعض الأعمال، وعندما أتيت وجدت الكثير من الحراس فذهبت.
– حسناً، أتعلم لقد عين أبي الأمير مالك قائداً للجند نظراً لبطولته وشجاعته، رغم أننا لم ندرك ذلك فيه من قبل.
وبدأت في وصف ما حدث ليلة أمس كما حكي لها والإشادة ببطولة الأمير مالك، والمحارب ينظر لها في ابتسام.

***

البارحة (الليلة المفقودة).
العازف في طريقه إلى قصر الجبار ولكنه توقف وابتسم في سخرية عندما أبصر هذا الشخص يقف على بعد ما يقارب المائة متر منه ولكنه لم يتبين ملامحه من بعيد، أنت مجدداً أيها المتسلل الفاشل، ولكن ما أصابه بالغرابة أن هذا الشخص لم يهرول عندما رآه ولكنه اتجه صوبه، تحولت ملامح وجهه من السخرية إلى الدهشة الشديدة لقد صدم بعنف عندما أبصر وجه نده.
– كيف تغافلت عنك أيها النمطي صالح
– شعرت أن هناك شيئا غريباً يحدث عندما رأيتك في بيت الفنون ذاك اليوم، والآن أيقنت،أين سيفك يا محارب؟ هل تخليت عنه؟ ياله من أمر غريب؟!
– ماذا تريد مني يا صديقي نحن لسنا أعداء؟

– لا تناديني بصديقك أيها الوغد فأنت ليس لك أصدقاء.
– يا الله، لم تنس أمر تلك الفتاة بعد.
– لم تكن فتاة لقد كانت حب حياتي، روحي، وأنت اغتصبتها مني أيها الحقير، أشبعت شهواتك منها وتركتها، دمرتني ودمرتها.
– لا لا لم تكن جديرة بك على أي حال، وأنا أبعدتها عنك لمصلحتك يا صاحبي.
– كف عن ذلك! لم تعد تنطلي على ألاعيبك بعد الآن.
– حسناً ماذا تريد مني الآن، هل ستقتلني يا صاحبي شفاعة لعشقك الهاوي؟
– لن أقتلك وأنت أعزل، لن ألوث يدي بدمائك النجسة، لقد أرسلت غلامي للأمير مالك ليعلمه بأمرك.
– أي أمر يا صالح؟ هل سيحاكمني ملك السكارى بتهمة خطف حبيبتك الوضيعة؟!
– لا ولكن الأمير مالك الآن علم أن هناك متسللا يذهب لجناح أميرتهم يومياً، لا تستخف بذكائي أبدا يا سلمان.
– لن أنكر هذا الأمر، ولكن لماذا كل هذا يا صالح، ستسبب في قتلى لأجل حبيبتك الجديدة، أظن لو الأمر هكذا لكنت حاولت فعلها من زمن.
– أتذكر رحلة الثلاث عشر يوماً يا سلمان، أنا وأنت وسمعان وقريبك سالم والطيب ولهان.
– أذكر، رحمة الله على صديقنا الولهان.
– كفاك خداعا يا خبيث فأنا أعلم بأمرك مع الطيب، ولكن هل

ياسمينة تعلم حقيقتك؟
– لا أفهم إلى ما ترمي كلماتك
– طيلة الرحلة والطيب ولهان يحدثنا عن حبيبته الجميلة وكيف استطاع أن يقنع والدها ذو المكانة المرموقة في عالمه بالموافقة على خطبتهم، وكانت ستتم الخطبة بعد أيام من انتهاء رحلتنا، هل تذكر بماذا أجابك دائما عندما كنت تسأله عن أمرها.
– نعم،كان يجيب إنها من أرض لم تخلق لأمثالك، أرض لن تطأها قدماك أبداً.
وهنا ازدادت صدمته وتوقف عن الإكمال، توقف عن الحديث، كل شيء في العالم توقف الآن بالنسبة له.
– أراك في هذه الأرض الآن أيها الأمير الفاني.
صمت تام من سلمان، بدأ صالح في الدوران حوله وأكمل في سخط.
– أذكر منذ ثلاث سنوات رحلة الثلاثة عشر يوماً كانت فكرتك، لقد اصطحبتنا إلى الجبال في الغرب البعيد لكي نصطاد الأسود، وكان حظنا سيئا طيلة اثنتا عشر يوما فلم نفلح في اصطياد أي أسد، رأيتك في اليوم الثالث عشر وأنت تصطحب الطيب ولهان، إلى ذلك الكهف وبعدها بساعة سمعنا صراخه أنا وسمعان وسالم وأبصرناك آتيا مهرولا لتخبرنا أن ليثا كاسرا باغتكم ونال من ولهان غدر به ومزقه إربا، لا أعلم كيف صدقناك حينها، فنحن طيلة رحلتنا لم نشاهد أسدا واحداً حتى، لم يكن هناك سوى الذئاب الذئاب فقط، الكهوف كانت تحوي ذئابا وليس أسودا

يا سلمان، ودائما ما شككت في أمر مقتل صاحبي، ولكني أيقنت الحقيقة عندما أبصرتك في ذلك الحفل، لقد قتلته لتحظي بمعشوقته أيها الخائن حان الوقت لأنتقم لدم صاحبي الطيب.
-أعترف أني قاتل ولهان ولكن لم أعلم أبدا قصته مع أميرة السكارى قتلته لسبب لن أبوح لك به أبدا، ولكنه استحق تلك النهاية ولست نادما على ذلك.
- لا أهتم بكلماتك الخادعة، مالك على وشك الوصول وغداً سنشهد إعدامك في ساحة السكارى، ستتخلص العوالم من دناءتك أخيرا.
- أقسم لك أني تغيرت يا صاحبي.
- أي تغير الذي تتحدث عنه وأنت تستعد لحرب القدامى.
- أقسم لك أني أحسبها المعركة الأخيرة، إنها لأجل اللعنة وانت أكثر من يعلم كم لعنت بسبب تلك اللعنة، دعني أذهب يا صالح.
- اصمت فلن تتمكن من عقلي مجدداً قديما كان يمكنك فعلها أما الآن فلا، الآن كشف وجهك القبيح أيها الخائن.
بدأ سلمان في جمع شتات عقله من هول الصدمات التي تلقاها، وتحدث قاصدا استفزاز صالح لسبب ما في نفسه:
- حسنا، هل تفعل كل هذا لأجل أميرتي، دعني أذهب لها الآن وسأقنعها بالزواج منك فهي تصغي لي جيدا.
وهنا جرى صالح بسرعة وغضب وأمسك بطرفي ياقة جلباب سلمان من الأمام، وأخذ يقذفه بأبشع الشتائم، ركع سلمان على

ركبتيه:
– أنا أركع لك الآن مقدماً توسلاتي لك فلتسامحني يا صاحبي القديم.
نظر له الأمير صالح في دهشه وريبه، انسلت يده اليمنى إلى رقبة حذائه وهم واقفا وباغته بضربة خنجره، وأخذ يدق خنجره دقا في قلبه، تناول كف يسراه رقبة الأمير من الخلف مانعا إياه من السقوط وجذبه إليه ونظر في أعينه مباشرة وهو يصارع سكرات الموت:
– لم تكن تستحق هذه الخاتمة أيها الأمير الشريف، وأرسل تحياتي إلى صديقك الداعر،أتمني أن يخبرك حقيقته هناك في الجحيم وأفلته ورحل.

***

– لأجلنا ياسمينه.
لاحظت ياسمينه شروده:
– ماذا هناك عزيزي؟
– لا.. لاشيء فقط كنت أتخيل شجاعة الأمير مالك.
– أعلم أنه شهم بالفعل، خاطر بحياته لأجلي.
"إنه يشبهني بعض الشيء، أظنه لو بارز صالح رحمة الله لكان شقه صالح نصفين من أول ضربه من سيفه."

تمتم في نفسه بصوت مبحوح.
- هل تقول شيئاً؟!
- لا، لا أقول.
- حسناً حسناً، ولكني لم أنس سوء صنيعك تلك الليلة.
- وماذا تريد أميرتي أن أقدم لها لكي تنسى حماقتي؟
- لن أخبرك الآن، ولن أتحدث معك حتى أقرر، تصبح على خير.
- حتي عالم السكارى النقي لم يخلو من الخطيئة يا مالك!

❁

في صغره حدثته إحدى عرافات الغجر بنبوءة مبهمة غامضة: درب المجد يبدأ بقتل النمطي، قتل النمطي يعني هلاكا أبديا، لا تقتل النمطي يا ولدي، لا تقتل النمطي يا ولدي، لا تقتل النمطي.

❁

يحكى أن

يحكي أن في قديم الزمن لم يكن هناك ما يعرف الآن باسم ممالك ولا عوالم ولا شعوب، العوالم عبارة عن عالم واحد كبير أرض تسع كل البشر وما غير ذلك فما هو إلا فراغ لم يملأ بعد، حتى أتى زمان ثابت النمطي وفصيلته النماطي، النمطي الأول ثابت وفصيلته حكموا البشر وأخذوا ينشرون أفكارهم وقيمهم التي خلقها ثابت النمطي، بالإقناع تارة والشدة تارة أخذ يفرض مبادئه ومستخلقاته، العامة لا يريدون سوى الحياة، لا يهم إن كانت حياتهم سعيدة أو بائسة، لا يهم إذا كانت لها مغزى أم لا، هدفهم هو إشباع بطونهم والنوم ليلا غاطين في أحلام واهية لا يقدرون على التصريح بها نهاراً، ولهذا أيده جميع البشر أو هكذا أوهم.

أصبحت أفكار النمطي ومستخلقاته عبر السنين عادات وتقاليد يلاحق العيب والقبح كل من يفكر أن يحيد عنها، كان أول من أعلن تمرده ورفضه لذلك الواقع هو سلمان الأشعث البدوي ولكن تمرده لم يكن يحمل أي هدف أو مغزى هو فقط لا يطيق العيش مثلهم لا يريد أن يصبح نمطيا، ورغم أن تمرده لم يكن يحمل أي معنى سوى البحث، البحث عن المفقود الذي لا يعلم ماهيته تبعه عددا ليس بالقليل ولكنه ليس بالكثير أيضاً، عاب العامة عليهم وأثار ذلك غضب القادة والأمراء والملك وأخذوا يتشاورون كثيراً في أمر الأشعث البدوي وأتباعه حتى وصلوا لقرار في النهاية.

قرار لم يتفق عليه البعض ولم يعارضه أحد، لم يمتلك إنسان من الشجاعة ما يجعله ينطق بنت شفة اعتراض، لقد أخذ القرار والجميع انصاع، سينفى البدوي ورفاقه إلى الفراغ المبهم، طردوهم، هام البدوي وصحبته في الفراغ باحثين عن أي ملجأ أو هدف أيام شهور سنين وهم تائهون يائسين بائسين محبطين، تزوج الرجال بالنساء وزاد عددهم ولكن لا جديد، شيئا فشيئاً دبت الخلافات بينهم وتفرقوا وهاموا في الأرض، حتى جاء زمان الفارس عيد سلام الذي جمع شتاتهم وجعل لهم وطناً يسكنوه، يقال أنهم تسموا بالبدو نسبة إلى المتمرد الأول، مرت سنين كثيرة بعد ذلك الكل أصبحوا نمطيين مؤمنون بواقعهم يدافعون عنه حتى الموت، في البداية ارتضوه خوفا وبعد ذلك اعتنقوه إيمانا، حتى أتى رجل آخر وأعلن التمرد ولكنه كان يعلم وجهته، فهدفه التطور، الإبداع الحرية، يشاع أن فخر الدين بن جلال الدين بن أحمد النمطي استنبط فكر التطور منه ومن مبادئه، فخر الدين فشل ولكن مبدع السكارى لم يفشل فلقد اعتنق مذهبه الكثير أضعاف أضعاف أتباع الأشعث ولهذا لم يجرؤ النماطي كما يسمون في ذلك الوقت نفيهم كما فعلوا بالبدو، ولم يمهلهم التفكير في مكيدة أخرى حتى، فهو كان يوقن وجهته اصطحب رفاقه ورحل عن أرض النماطي وأنشئ ما يعرف الآن بعالم السكارى، يقال أن كلمة إبداع يرجع أساسها إلى المبدع الأول السكارى، هناك هالة من الإشاعات والخرافات حول مبدع السكارى وحياته وموته، فمثلا يحكي أن مبدع أحد القلائل الذين تمكنوا من الذهاب إلى

ما وراء بحر عدين، إلى العوالم المجهولة والعودة سالما وربما الأوحد، ويقال أيضاً أن عند عودته لم يرجع وحيدا كما ذهب، فلقد أتي بقوم الغجر إلى أرضنا من الشاطئ المظلم لبحر عدين ولكنهم لم يحافظوا على العهد بعد ذلك.

أبرز ما سمع عنه هو أسطورة خاتمته يقال أنه بعدما عاد من رحلته إلى المجهول بفترة وجيزة اختفى ولم يراه أحدا بعد ذلك.

حكايات كثيرة عن العوالم وتاريخها وأساطيرها وخرافاتها ولكن لسنا بصدد ذكرها الآن فوقتي ينفذ

الفصل السابع

يخيم جيش البدو في معسكرهم على حدود الأرض المتقاتل عليها، أرض الجدول، في أكبر خيام المعسكر الخيمة التي نصبت في منتصف، يعقد مجلس الحرب يترأسه الملك المهيب ويجلس برفقته غانم المغوار وسالم والماهر سمعان العائد منذ فترة وجيزة من عالم السكارى.

الملك: متى سيصل يا سمعان؟

عين البصاصين: قريباً، لا تقلق فإنه لن يفوت بداية المعركة فإنه يراها معركته.

القائد: إنها بالفعل معركته فلولاه لما كنا فكرنا في خوضها من الأساس.

الملك: ألم تكن أنت يا مغوار أشد معارضيه؟

القائد: مولاي رغم أني وذاك الماجن لم نكن على وفاق في الفترة الأخيرة ولكنه سيبقى تلميذي وأنا أعلم الناس بقدراته.

الملك: هل هذا يعني أنكم على وفاق الآن؟

القائد: أظننا كذلك وأوقن أنه سيصدق عهده وسيجعلها لا تنسى كما يقول.

الزعيم: سمعان! من خلال حديثك معه ألم تستشف إذا كان يمتلك خطة؟

عين البصاصين: أظنه يمتلك خطة بكل تأكيد، فهو منذ أن حسم أمر خوض هذه المعركة وهو لا يكف عن البحث
الملك: البحث عن ماذا، هل ألمح لك بشيء؟
عين البصاصين: ليس كذلك بالضبط ولكنه منذ أن نوي الحرب وحتى قبل أن تجمعكم طاولة الحسم، كان يرسل لي سائلاً، وعندما استدعيتني أيها المهيب لمهمة مدن الساحل تقابلنا وحظينا بكثير من الحديث وكثرت تساؤلاته.
الملك: أية تساؤلات؟
عين البصاصين: في البداية كان يتساءل كثيراً عن سلطنة الخالدين وجماعات الهجامة ولكن بعد ذلك انحصرت تساؤلاته في اتجاه واحد فقط المبشر.
وهنا تملك العبوس وجه المغوار وانعقدا حاجبيه.
الزعيم: وهل تعرف إلى ما توصل؟
عين البصاصين: في الحقيقة لا أعلم.
هذا الحديث أعجب المهيب فهناك أملا آخر يلوح في الأفق رغم جهلهم به، وجه الملك تساؤلاته ناحية القائد: هل وضعت خطتك النهائية يا غانم؟
القائد: نعم فأنا وسالم نعمل عليها منذ شهور.
الملك: أطلعني عليها.
القائد: سمعان! لقد تمت مهمتك يمكنك الذهاب الآن.
الملك: لا، ابق يا سمعان، أريدك في أمر آخر، أخبرني خطتك يا غانم.

نظر غانم إلى الخريطة المنبسطة على الطاولة التي تجمعهم وتبعه الجميع وبدأ الحديث موضحاً بإشارات سبابته:
هذا الجدول وفي المنتصف الأرض العقيمة التي ستشهد المعركة على بعد عشرة كيلومتر غربا ولحسن الحظ تجدون حقول الذرة.
جيوشنا ستنقسم إلى ثلاثة أقسام، الجزء الأول عبارة عن ربع الجيوش وسيكون في الميمنة والجزء الثاني سيضم نصف الجيوش وهذا قلبنا والربع الانتحاري سيأخذ الميسرة.
الملك: ألا ترى أن هذا سيصيب جناحينا بالضعف؟!
القائد: رغم تفوقهم العددي الكاسح، ولكن أعتقد أن أطرافهم لن تكون أقوى من أطرافنا.
الملك: ومن أين جاءك هذا الاعتقاد؟
القائد: لأن محاربي القدامى وفرسانهم الأشداء سيتكتلون في القلب بجوار قائدهم ولن يقود الأطراف سوى بعض الهراطقة.
الملك: وماذا لو لم يفعل ذلك وفاجئنا باستراتيجياته.
نظر القائد صوب الزعيم سالم الذي أوضح.
الزعيم: إنه الكبر المصطنع والغرور فإنهم لن يكلفوا أنفسهم عناء التفكير في خطط مستحدثه فإنهم سينهجون التقليدية وضف إلى هذا أن محمود لا يمتلك نصف حنكة أباه الملعون.
الملك: وما أدراكم أن شجعانهم سيبقون حول قائدهم في القلب.
الزعيم: أزمة الثقة مولاي، محمود لا يثق بنفسه ولا يثق بالأشراف الذين ربما يحاولون اغتياله في أرض المعركة إذا كان النصر حليفهم هو يثق فقط في حاشيته التي لا تبرح جانبه أبدا والتي انتقاها

بعناية.
الملك: حسناً كل هذا جيد ولكن أرى أن التفوق مازال حليفهم رغم هذا، أين الخدعة إذا.
القائد: بعد بداية المعركة ستتظاهر الفرقة الانتحارية بالتراجع وتبدأ بالتطرف غربا والانفصال عن بقية جيشنا ساعية إلى فصل ميمنة القدامى عن قلبهم ستوحي للقدامي أن اليأس قد نال منها ولهذا ستفر من ساحة القتال قاصدين الشرق حيث حقول الذرة ونتمنى أن يلحق بهم الجزء الأيمن لجيش القدامى وهذا ما سيحدث بنسبة كبيرة، عندها وفي الحال، ستتقدم إحدى حاميات منتصفنا المدربة على ذلك مسبقاً بهدف احتلال ميمنة القدامى.
الفرقة الانتحارية ستستدرج ملاحقيها إلى حقول الذرة وستدخلها وهنا احتمالان الأول هو أن يدلف القدامى خلفهم وهذا الاحتمال الذي أبغيه وعندها ورغم كثرة عددهم فإنهم سيصبحون صيدا سهلا لحامية مكونة من سبع ألاف رامي سهام زرعتهم هناك والاحتمال الثاني أنهم سيقررون التوقف عند حدود حقول الذرة ويعاودون أدراجهم إلى الأرض العقيمة وعندها ستخرج لهم الحامية المتخفية في الحقول وسيشتبكون معهم مباشرة بهدف تعطيلهم على الأقل..
قاطعه الملك: لماذا سمي هذا الربع بالفرقة الانتحارية، وما مصيره بعدما يدلف إلى الحقول؟
الزعيم: سميت بالفرقة الانتحارية لأنها ذاهبة إلى هلاكها.
الملك: أوضحوا!

القائد: بمجرد أن يشتبك رماة الأسهم مع الجزء المنتزع من جيش القدامى ستعود هذه الفرقة أدراجها إلى ساحة المعركة ولكنها لن تعود لمكانها بل ستلتف من وراء قلبهم، وبهذا سيصبح قلب جيشنا بقيادتي يواجه جيشهم من الأمام والحامية المتقدمة ستحتل ميمنتهم ومن خلفهم الفرقة الانتحارية التي ستصبح في مرمى بصر رماة أسهمهم وأما يسارهم فستحاول ميمنتنا الظفر به، وبهذا سنحاصرهم بكماشتنا وسنحاول في أقل وقت ممكن الوصول إلى قائدهم ومعاونيه الذين سيكونون متكدسين في القلب وسنقضي عليهم إن شاء الله.

الملك: هل أنت واثق من نجاح هذه الخطة يا غانم؟

القائد: ليس خفيا على مولاي أن الحرب ماهي إلا مجموعة احتمالات، ونحن وضعنا كل المتاح والتوفيق من عند الله.

الملك: الآن أنا أصبحت على علم بأنك ستقود قلب الجيوش، إذا من سيقود أذرعه؟

القائد: كنت أتمنى أن يلحق المنصور بالمعركة ويقود الجناح الأيمن.

وهنا تذكر المهيب شيئا ووجه سؤاله صوب سمعان في لهفة:

– إياك أن تكون قد أخبرته بأمر المنصور يا سمعان.

عين البصاصين: لم أفعل.

أكمل القائد المغوار: ولكن وفي هذه الظروف وبعدما رفض سمعان خوض هذه المعركة معنا فلم أجد خيراً من نصير.

الزعيم: لا بل أنا من سأقود الميمنة.

القائد: مكانك ليس بساحة القتال يا سالم ولكنه بجوار ملكنا.

الملك: ما هدفك من ذلك يا سالم؟
الزعيم: إذا لا قدر الله لم تسير الحرب في صالحنا فأنا وضعت خطة انسحاب من الغرب ولهذا يجب أن أكون في ساحة القتال حتى أستطيع تنف..
قاطعة القائد وعنفه بغضب: أي انسحاب الذي تتحدث عنه أيها البائس..
الملك: قضي الأمر، الآن أصبحنا على علم أن الميمنة سيقودها سالم، إذا من سيقود يسرانا الهالكة؟!
القائد والزعيم في كلمة واحد: سلمان.
الملك: وهل سلمان يعلم هذا؟
سالم: يعلم، لقد كنت آخر من يحدثه قبل الذهاب في رحلته، في كوخه أخبرته نيتنا ولم يعترض!.
استأذن القائد المغوار من ملكه الخروج ليلقي بعض الكلمات الحماسية على رجاله ويواصل تدريبهم، وأذن له المهيب، بعدما خرج المغوار وجه المهيب سؤاله إلى سمعان
– أين تقرير مهمتك؟

أثناء هذا في أرض القدامى وفي القاعة الذهبية في القصر الملك، يجلس هذا الرجل البدين الذي يقارب عمره الثمانين أعلى عرشه في ثوبه الملكي المرصع بالذهب وبعض الأحجار الكريمة الأخرى وتتزين رأسه بتاج من ماس، دخل عليه القائد محمود وحياه وانحنى في امتعاض، لم يبد أي اهتمام للقائد وواصل حشو فمه بشطائر

من الفطير، تحدث إلى جاريته التي تقف بجواره ممسكة بهذا الطبق المملوء بالطعام:
– أين السكر؟ أين السكر؟ لماذا هذه الفطائر خاليه من السكر؟
أجابته الجارية في خوف:
– مولاي إن الطبيب هو من أمرنا بذلك فالسكر مضر بصح..
صرخ في وجهها وشراذم الطعام الممضوغ تتطاير من فمه وتتراص متناثرة على وجه جاريته:
– اللعنة على الطبيب وعليك أيتها العاهرة، اذهبي وأحضري بعض فطائر السكر وشطائر اللحم أيضاً.
تركت الجارية الطبق وهرولت في فزع لتنفذ أمر الملك الشريف طارق ملك النمطيين القدامى، أمسك الملك الشريف الطبق وأخذ يبحث بنهم في محتواه عساه يجد بعض قطع الحلوة، مازال القائد محمود منحنيا ويبدو أن الملك البدين لم يدرك وجوده بعد، نطق القائد قاصدا لفت انتباه البدين: مولاي الشريف!
الملك الشريف في عدم اهتمام: انتصب يا فتى انتصب، هؤلاء الجواري يثيرون غضبي، لا أعلم هل أنا أملك الوقت لتصحيح زلاتهم باستمرار؟ هل أترك شئون شعبي وأفرغ لهم هؤلاء العاهرات؟ ليس هناك أي تحمل للمسئولية، لا أحد يعلم كم المتاعب التي أواجهها لأجل شعبي.
القائد محمود: فليعينك الله يا مولاي على هذا البلاء،.. ولكن هل هناك أمرا خطيرا قد حدث لتستعديني من معسكر الحرب؟
الملك الشريف: ليس أمراً خطيرا يا محمود بل شيئا ثميناً ينتظركم.

القائد محمود: ماذا؟
الملك الشريف: الأشراف رصدوا لك أنت ورجالك مكافئات ثمينة إذا تمكنتم من إبادة البدو في الأرض العقيمة.
يبدوا أن هذا الأحمق الجشع المسعور يظن أن كل البشر مثله يلهثون وراء جمع المال والكنوز
القائد محمود: جيد، جيد جدا مولاي، أشكرك وأشكر الأشراف.
الملك الشريف: ما حال رجالك يا فتى؟
القائد محمود: كانوا يتمنون أن تكون حاضرا معهم قائدا إياهم في أرض المعركة يا مولاي.
الملك الشريف: الأمر لا يستدعي خروجي من القصر، ولن أمنح هؤلاء البدو الشُّعث المتمردين شرف الموت على يدي، انتهي منهم سريعا وعد لنبدأ الاحتفال.
وهنا عادت الجارية وبيدها صحنا مكتظا بأشهى فطائر السكر وشرائح اللحم، ولقد سال لعاب الشريف البدين عندما رآه.
أشاح الملك الشريف بإحدى يداه إلى القائد وأكمل: انصرف، انصرف الآن يا فتى.

***

في معسكر البدو وبعد خروج المغوار من خيمة مجلس الحرب، يبدأ الملك المهيب والزعيم سالم الاطلاع على التقرير الأخير لمهمة البصاص سمعان.

***

طلبني مسبقاً ملك البدو المهيب سيف الله سليمان لمهمة خطيرة ولولا حنكته في اختيار توقيت البدء لما كنت قد وصلت لهذه النتائج في فترة قصيرة، فلقد بدأنا مهمتنا قبل أن يبعث للقدامى أنه نوى الحرب، فلقد استغل ميثاق الدم أفضل استغلال، فلقد أرسل لهم قبل المعركة بست شهور فقط وهي أدني مدة مسموح بها كما هو مكتوب في ميثاق الدم، ولهذا كان من اليسير على وضع الأحجار الأساسية لمهمتي التي بدأنا في تنفيذها قبل إعلان الحرب بشهور عدة.

في البداية وبعد مجهود وفير تمكنت من جمع خمسة عشر قاتلا ومغتالا وجاسوسا وتم تجنيدهم لهذه المهمة وإعلامهم شروطها وبعد موافقتهم على بنودها تم توقيع العقود الملزمة، بعدما أعطيتهم بعض الدروس المنفردة في فن التخفي رغم أن معظمهم كان يجيد ذلك بالفعل، تنكر كل منهم بطريقته وذهبوا نحو مملكة النمطيين القدامى ساعيين لإيجاد طريقتهم لدخولها والامتزاج بشعبها وهذا كان الجزء الأسهل، فلقد استطاع اثني عشر من الخمسة عشر التعايش والتكيف والذوبان بين القدامى، أربعة فقط من استطاعوا الانضمام إلى جيش القدامى: رامي سهام وجنديان مشاة وفارس الصعلوك الذي بذلت الكثير في سبيل ضمه لمهمتي، الثمانية الآخرين استطاع ثلاثة منهم أن يمدوني بمعلومات هامة طوال فترة المهمة ولهذا تحولت وجهة مهمتهم إلى التجسس أما الثمانية الذين لم يفلحوا في تقديم إفادة تذكر لنا تم إنهاء مهمتهم في حينه، أحد المقاتلين الذين انضموا لأفراد المشاة لاقي حتفه في إحدى

مواجهات القدامى مع الهجامة، لهذا والآن فإننا نملك رامي سهام وجندي مشاة متخفين بين صفوف جيوش القدامي ولكن هناك مفاجأة كبرى لكم، فلقد تمكن الصعلوك فارس من الصعود إلى جوار القائد محمود، فلقد أصبح أحد أفراد حاشيته المقربين.

***

الملك بتعجب: أعرف كل هذا مسبقاً من التقارير التي كنت ترسلها لسالم بانتظام، ولكن أمر فارس؟

عين البصاصين: هذه هي المفاجأة التي لم نكن نتوقعها، فرغم إدراكي من أول وهلة أنه مختلف، ولكن لم يخطر ببالي قط أن يصل إلى هذه الدرجة.

سالم: يبدو أن هذا الصعلوك سيكون هو كلمة السر في المعركة.

عين البصاصين: إنهم ينتظرون أن أرسل لهم توجيهاتي النهائية قبل بداية المعركة، علام تنوون؟

الملك: الصعلوك فارس سيغتال القائد محمود أثناء المعركة.

عين البصاصين: وهل من إشارة معينه؟

الزعيم: عندما يغيب الجزء الهارب عن مرمى البصر، سواء اتبعته ميمنة القدامى أو لا.

عين البصاصين: والآخرين؟

الزعيم: إذا فشل الصعلوك في الظفر برأس ابن الصمدي وبالتحديد عند عودة الفارين فلتعتبر هذه إشارة رامي السهام، وإذا أخطئ

فسيأتي دور جندي المشاة الذي ستكون مهمته هي إثارة الفزع والهلع بين رفقائه محاولا تمهيد طريق الانتحارين للعبور ناحية القائد وحاشيته.

عين البصاصين: علم وسينفذ، ولكن لماذا لم نتخلص من محمود مسبقاً رغم أن الأمر كان من اليسير؟

الملك: إذا كنا قد تمكنا من اغتياله مسبقاً ربما هذا سيحدث بعض الإرباك في صفوف القدامى، ولكنه إرباك من السهل عليهم التغلب عليه، فستكون أمامهم الفرصة لتنصيب آخر وجمع شتاتهم.

أكمل الزعيم: أما إذا قتل في الأرض العقيمة، فهذا سيبعث في نفوس رجاله الهلع والفزع والارتباك الذي لا طائل لهم لتداركه.

الزعيم سمعان: فهمت، ولكن هناك أمرا خطيرا وصلني من أرض الجدد قبل بداية مجلس الحرب مباشرة.

الملك: ماذا هناك؟

الزعيم سالم: لقد اغتيل أميرهم صالح.

الملك بأسي: رحمة الله عليه فلقد كان أميرا صالحاً، ولكن كيف هذا؟ فليس هناك من يكن العداوة للجدد.

أردف الزعيم سالم: ليست هذه هي المعضلة، المعضلة هي لماذا هذا الأمر يعد خطيرا علينا؟

عين البصاصين سمعان: لقد قتل في عالم السكارى، سلمان اغتال أمير الجدد الصالح.

***

بعد انتهاء مجلس الحرب أعطي سالم لعين البصاصين خمس أكياسا متفاوتة الحجم تكظ بالأموال.
الأول: أجر من استطاعوا التجسس والإتيان بمعلومات قيمه.
الثاني: أجر من تمكنوا من الانضمام لجيش القدامى.
الثالث: الأجر مضاعف لمن لاقي حتفه أثناء المهمة وسيرسله سمعان إلى ذويه كما ينص العقد المبرم.
الرابع: أجر جماعة البصاصين.
الخامس: أجر سمعان بعدما أتم مهمته، وهذه السرة رفضها الماهر سمعان.
مع وعد بمكافأة خاصة لمن يتمكن من الظفر برقبة قائد جيوش القدامى.

***

أوائل صبح يوم المعركة.
الملك المهيب في إحباط: لقد خذلنا مجددا.
القائد المغوار: لا أظن هذا، أظنه سيأتي وربما يكون قد نجح في الوصول إلى المبشر قد تكون خطته هي المباغتة بجماعات الهجامة أثناء الحرب.

***

خرج القائد النمطي محمود بن الصمدي حسان على رأس جيش مكون من مائة وعشرين ألف من المحاربين والفرسان ورامي الأسهم والمشاة، يمتطي القائد محمود جواده في زهو وفخر مرتديا دروعه البرونزية اللامعة وأخذ يلقى كلماته على جيوشه الضخمة وهو يتجول بينهم محاطاً بعشرة رجال أشداء يرتدون الفضي، تراص جنوده بانتظام كأنهم أحجار في رقعة شطرنج، زيهم الأحمر من كثافتهم يوهمك أن الأرض العقيمة قد نزفت اليوم دما.

في الجانب الأخر تجد سبع وستون ألفاً من الرجال محتسين السواد يتقدمهم القائد غانم المغوار في دروعه البيضاء ذات النقوش السوداء، عدد جيش البدو الفعلي ثمانية وخمسون ولكن هناك تسعة ألاف انضموا حديثاً لا يعلم أحد من أي أرض أتوا إلا الزعيم سالم ولم يفصح بذلك لأحد، وفي خضم الأحداث لم يهتم أي بدوي لمعرفة ماهيتهم فهم على الأرجح لا يبادلون أي شخص الحديث.

غانم المغوار يقود جيشه من القلب وذراعه الأيمن الزعيم سالم والأيسر منح لنصير، الملك المهيب يشهد المعركة هو وحرسه من أعلى تل يقع شرقا من الأرض العقيمة أرض المعركة، سحب القائد المغوار سيفه من غمده رافعا إياه للأعلى معلنا عن بداية الموقعة، تقدم الجيشان في سرعة وضراوة صوب بعضهم البعض، تعانقت الأحصنة وتلاحمت الأجساد وتشابكت السيوف بالرماح والرماح بالسيوف والسيوف بالسيوف والرماح بالرماح والسماء تمطر أسهم احتفالا بما يسفك من دماء، القائد محمود يحارب

بشراسة يدق سيفه في فك هذا بغِل منقطع النظير كأنه يغرسه في قلب الأشراف أجمع، في الجانب الأخر نصير يظهر كثير الشجاعة وبرغم قلة خبرته فعندما تراه تشعر أنه يتراقص برمحه جارحا هذا وقاتلا ذلك بخفه ودهاء كصقر جارح، قاسم يسحب رمحه من عنق هذا ويلتف ويغرسه في أحشاء هذا، المحارب على الصواف لا يبرح جانب قائده فكل همه أن يصد عنه طعنات السيوف الغادرة وضرباتها، الزعيم سالم تشعر وكأن عشرة رجال اندمجوا في رجل واحد من كثرة قتلاه يمينا ويسارا إنه يستمتع بهذا كأنه يضاجع للمرة الأخيرة، القائد المغوار يشق قلب القدامى شقا في جرأه لم تشاهد من قبل ساعيا خلف محمود الذي يتفاداه كل مرة مصدرا له حراسه أو أحد معاونيه ولهذا ففي فترة وجيزة تمكن المغوار من قتل اثنين من الفضيين.

رجال البدو ورغم قلة عددهم عن القدامى ولكن الناظر لا يدرك هذا فالبؤساء محتسين السواد يقاتلون في بأس وجلد وعنف شديد، فهم متعطشين لإراقة دماء النمطيين، فإنهم ولأول مرة يحاربون من أجل ذواتهم وليس من أجل مستأجر ثري، إنهم يخوضون معركتهم الآن، حتى إن قتلوا فسيموتون سعداء راضيين.

انتهت حماسة البدايات وهمجيتها وبدأ كل جيش في التشكيل والانتظام نسبياً، وبالفعل نجح المغوار في إجبار الثمانية معاونين المتبقين على البقاء بجوار قائدهم في القلب بعدما قتل معاونين وعشرات من الحرس الخاص بالقائد محمود.

فلقد أدرك الفضيون أن المغوار يسعى خلف قائدهم، قائدهم

الذي لم يأمرهم بعكس ذلك واستمرت المعركة، الملك المهيب يشاهد وينتظر وينظر شرقا وجنوبا متفقدا الطريق ربما سلمان لا يخيب أملهم هذه المرة ويفاجئهم بحضوره مصطحبا الهجامة أو ربما سيأتي الهجامة من الشمال من معقل النمطيين القدامى.

بعد ساعات من بداية المعركة ولا أحد يستطيع تبين الفريق الغالب رغم أن القدامى بدأت الكفة تميل ناحيتهم نسبياً لكثرة عددهم رغم المقاومة المستميتة من البدو المتمردين، عند ذلك بدأت الفرقة الانتحارية في تنفيذ مخططها، بدؤوا بالتراجع ثم التطرف وهذا أثار القدامى وأشعل حماستهم فيبدوا أن الذراع الأيسر للبدو قد حان وقت بتره، انفصلت ميسرة البدو عن جيشها وكذلك ميمنة القدامى عن جسدها وهنا تمادى البدو في مخططهم وفرت هذه الفرقة مدعية الخوف والفزع من المصير، وبالفعل هرول ثلث جيش القدامى خلفها مطاردين إياها بهدف إبادتها، وهنا نظر المغوار إلى أعلى التل وتبادل هو والمهيب ابتسامات التفاؤل التي تناستها ثغورهم من زمن، فخطتهم تسير أفضل مما تخيلوا، إنهم الآن ربما يستعيدون ذكريات الأيام الخوالي آملين في مستقبل أفضل، همت الحامية المدربة على احتلال ميمنة القدامى تنفيذ جزئها الخاص من الخطة ولكنه يبدو أن بين القدامى فارسا حكيماً لم يصل لمكانته مستغلاً أي نفوذ، فلقد اقتطع هذا الفارس جزءاً من قلب النمطيين وأخذ يواجه هذه الحامية، الفارس قاسم يفسد أحد أهم أجزاء خطة البدو، ظل يناضل بضراوة هو ومن معه صارخاً في رجاله باعثا العزم داخل نفوسهم، اختفي الهاربون

وملاحقوهم عن الأبصار، وهنا تراجع قاسم ومن معه إلى قلب جيشهم مستسلمين.

احتلت حامية البدو ميمنة القدامى بجدارة، وهنا انتشرت العشوائية بين أفراد جيش القدامى فبدأت يسراهم الاندماج إلى قلبهم خوفا أن يبطش البدو بالقائد ومعاونيه الأشراف وعندها ولحسن حظ البدو تمكن سالم ورفقائه من يسار القدامى، وقتها أصاب الهلع والخوف القائد محمود وأعوانه وتسلل هذا الهلع إلى نفوس رجالهم، الملك المهيب أعلى التل ينظر في تأهب، فالآن يجب على الصعلوك فارس أن يستغل حالة الشتات التي حلت بالقدامي وينفذ جزئه من الخطة، الآن يجب أن يغتال القائد محمود بن الصمدي حسان.

أخذ المهيب بحنكته يتبين من هو فارس الصعلوك، ورغم أن هذا من الصعب لشدة قرب حاشية القائد منه فالجميع يدنون إليه لأجل حمايته، ولكن عقل المهيب قد رجح أن هذا الفارس هو فارس، فهذا الفارس عكس الآخرين تستشعره يتحلى بالكثير من الثبات فهو يتوجه ناحية القائد مباشرة كأنه يوقن هدفه، حتى أنه هو من خرج لحماية ميمنة القدامى، ربما فعل ذلك خشية أن يفعلها آخر وانسحب منها في الوقت المناسب، المهيب ينتظر، ينتظر، ينتظر، ودقات قلبه تتسارع، عينه على هذا الفارس ربما سينقض الآن، هناك آخر يقترب من يساره وفضي يتحرك عن يمينه ولكن المهيب حدسه يخبره أن هذا هو المنشود، يتمكن المغوار من فضي آخر ويوقعه صريعا، وهذا الفارس لا يأبه له ولا

ينوي مواجهته إنه يتحرك فقط ناحية قائد جيوش القدامى.
يوجه المهيب رأسه إلى السماء ويتساءل مغمغما:
"هل هي اللحظة المنتظرة يا الله؟ هل أخيراً سندرك المفقود؟ هل ستزول لعنتنا التي عذبنا بسببها سنين؟ إنها تقترب تقترب تقترب أكثر من أي وقت مضى."
وفجأة، لاحت في الأفق عاصفة ترابيه عاتية أتيه من اتجاه الغرب، لابد أن الأرض تعلن عن غضبها الآن انتقاماً لهؤلاء القتلى البائسين، الأرض العقيمة ارتوت دماءا فأنبتت سخطا من غبار، على بعد عشرة كيلومتر غربا في حقول الذرة، لم تعد عيدان الذرة واقفه منتصبة كعادتها ولكنها تساوت بالأرض كأن دماء القتلى التي امتصتها الأرض سمتها، الأمر ليس كذلك فهناك سبعة آلاف رجلا هنا يبدو أنهم كانوا حامية من رماة الأسهم فالأقواس تدل على ذلك، سبعة آلاف رامي أسهم، في زمن مضى كانوا رجالا، إنهم الآن ليسوا إلا بقايا رجال أشلاء متناثرة في كل مكان،سبعة آلاف رامي أسهم لاقوا حتفهم منذ قليل، من علامات الطمي التي تغطي أشلائهم يبدو أنهم دهسوا دهسا، أهذا وشم طبع بحدوة جواد؟! هذا الوشم الذي يزين هذا الجبين المحطم!
كل من في الأرض العقيمة من رجال توقفوا عن التقاتل ناظرين، إلى العاصفة كأن الزمن قد قرر التوقف بهم وهلة للراحة والتقاط الأنفاس رأفة لحالهم، ها هي العاصفة أخيراً بدأت في التواري، أهذا هو نصير؟! لاح وجه نصير من العاصفة، بدأت تضح الرؤية تدريجيا، هذا هو نصير هذا هو وجه نصير البشوش هذه

هي رأس نصير، هذه هي رأس نصير التي تزين سيف منذر الحكيم أمير النمطيين الجدد العابث مدمن الخمر، لأول مرة منذ أكثر من ثلاثمائة عام يجتمع القدامى والجدد، النمطيين اجتمعوا مجدداً ضد البدو، نصف جيش الجدد خمس وأربعون ألف جندي في دروعهم الصفراء المزركشة يحاربون كتفا إلى كتف مع جيوش القدامى متصدين لطموح البدو البائسين، امتص غانم هول العاصفة وتوجه نحو جندي من جنود القدامى وهوى بسيفه على رأسه فخر صريعا في الحال، وكان هذا إعلانا صريحاً من المغوار لمواصلة الحرب، نظر سالم إلى الملك المهيب الذي بعث له إشارته أمرا إياه بالانسحاب في الحال.

تقدم الزعيم سالم نحو المغوار الذي غطت دماء أعدائه دروعه وزينت وجهه وأخبره أن الملك يأمره بالتراجع ولكن المهيب لم يجيبه.

الزعيم: أيها القائد يجب أن ننفذ خطة الانسحاب الآن،الملك يأمرك بالتراجع، لا وقت لدينا يجب أن نبدأ في تنفيذ الخطة الآن.

نطق المغوار أخيراً: لن أنسحب، لن أتراجع اليوم.

أنهى كلماته وانطلق نحو القائد محمود ولحقه سالم بهدف حماية ظهرة وإثناءه عن جنونه.

لم يتفاداه محمود هذه المرة ولكنه أخذ قرار متهور في هذا التوقيت وأنطلق هو الأخر ناحيته، قفز على الصواف بجواده أمام محمود واشتبك مع المغوار، تبارز المغوار والصواف سوياً وكان التفوق واضحاً لغانم، لم يتراجع محمود وتبع صاحبه واشتبك مع المهيب

هو الأخر، رغم صراخ سالم ولكن المغوار لم يعر أي اهتمام لكلماته فقرر سالم التراجع إلى الخلف لكي يجمع ما تبقى من جيوش البدو ويبدأ في تنفيذ خطة الانسحاب مشيعا المغوار بنظرات حسرة وألم، عندما انضم محمود إلا النزال وبحركة سريعة نكز المهيب بنصل سيفه رقبة فرس إبن الصواف ليتخلص من راكبه سقط الحصان وصاحبه، انحصر النزال بين غانم ومحمود وكانت الغلبة من نصيب المغوار فمحمود لا يكف عن التراجع أمام غانم وبنفس الحركة السابقة باغت المغوار رقبة حصان محمود الذي سقط أرضاً هو وجواده، لم يستطع قائد جيوش القدامى تفادي تبعات السقوط كصاحبه الذي قفز مبكرا ولم يصاب بمكروه فلقد سقط حصان محمود على إحدى قدماه التي ربما أصيبت بكسر، هم غانم رافعا سيفه قاصدا قتل محمود لكي يمنح شعبه انتصارا معنويا على الأقل ولكنه لم يفلح فلقد شق هذا الرمح الغادر ظهره ووجد دربه إلى الخروج من صدره، لقد غدر به الفارس قاسم من الخلف، المغوار لم يستسلم بعد، رفع سيفه مجددا عازما على قتل محمود ولكن طعنة سيف ابن الصواف قد وجدت طريقها إلى كبده، كرر المحاولة للمرة الثالثة وعندها انهالت عليه طعنات الرماح وضربات السيوف من كل مكان، لم يعد قادراً على تمالك نفسه فسقط من أعلى جواده، توقفت ضربات السيوف وطعنات الرماح عن جسده الممزق المتهاوي، جسده ينزف دما من كل أركانه، حاول النهوض لم يقدر، حاول ثانية وفشل، بدأ معاوني قائد جيوش القدامى في إبعاد الفرس الصريع عن قدم قائدهم

المصابة، أوقفوه وأتوا له بسيفه الملقي أرضاً، أخيراً وبعد محاولات مضنيه انتصب القائد غانم المغوار واقفاً على ركبتيه في شموخ رفع رأسه ووجه ناظريه ناحية السماء صوب الشمس المحمرة الدامية التي توشك على الأفول ونطق الشهادة، أمسك القائد محمود بن الصمدي حسان سيفه وتحدث في كثير الاحترام منحنيا في إجلال: لك جزيل احترامي أيها المغوار.

رفع رأسه وهوى بسيفه على عنق القائد غانم المغوار.

المغوار لن يبزغ فجره من جديد

هناك صاح أحد جنود القدامى: لقد ذبح القائد محمود المغوار، لقد ذبح القائد محمود المغوار، لقد ذبح القائد محمود المغوار.
بدأ الجميع في ترديد الهتاف:
لقد ذبح القائد محمود المغوار، لقد ذبح القائد محمود المغوار، يعيش القائد محمود ذابح المغوار، يعيش القائد محمود ذابح المغوار.
ولى البدو أدباهم للأرض العقيمة فارين تلاحقهم صرخات منذر الحكيم الذي تتطاير شرارات الغضب من عينيه: رأس الخاسر، رأس الخاسر يا مهيب، رأس الخاسر سلمان يا مهيب، لن أترك ثأر شقيقي يا بدو رأس سلمان يا مهيب.
رغم صيحات التعظيم التي تحيط القائد محمود وبرغم إصابته ولكنه بدأ في تنظيم جيوشه مجدداً ناويا مطاردة البدو وإبادتهم، وهنا جاءه رسولا من الملك الشريف طارق باعثا تهانيه الحارة وأمرا إياه بالتراجع وسحب جيشه إلى أرض النمطيين القدامى.
وهكذا دارت الدائرة على البدو وهلك منهم ما يقارب النصف ولولا خطة الانسحاب السديدة التي وضعها سالم مسبقاً بالإضافة إلى اكتفاء القدامى بإذلالهم لكانت حلت خاتمتهم الأبدية.

الفصل الثامن

البارحة سلمان نوى توديعها، لم يودعها، أظنه الليلة سيذهب، حسنا ليس اليوم، غدا، لا إذا بعد غد، توالت الليالي وعازفنا لم يستطع أن ينطق سلاماً، لقد تناسى معركته مرة أخرى، لقد فوت معركته.

وحتى الآن أميرته لم تعلمه شرطها.

– مر وقت طويل على هذا الحال لقد افتقدت حديثنا، هذا كثير على أميرتي.

أشاحت بوجهها للجانب الأخر

– هل مللت مني؟ إذا أخبريني حتى لا أثقل عليك ثانية.

– ماذا تقول يا سلمان؟ دائما ظنك سيء.

– أعتذر عن ذلك يا ياسمينة، ولكن أخبريني ما نهاية كل هذا.

– حسناً حسناً، سأخبرك شرطي ولكن لم أعد قادره على تحمل المزيد من انتقاداتك.

– تحدثي.

– لن أطلب منك أن تأتي لبيت الفنون أعلم أن هذا يزعجك رغم أني لا أجد سبباً لذلك، إذا فلتخبرني، قصتك، من أنت حقاً يا سلمان؟

– لست سوى راعي أغنام بسيط أتجول لأجل غنيماتي.

– لا أصدقك، اعلمني حقيقتك.

– هذه هي الحقيقة أميرتي، ولا تنسى أنت الآن تخالفين قانوننا الثاني.
– وهل التزمت أنت بالأول أيها الحاذق،حسناً لا أجد طلبا آخر، فلتقدم لي ما تستطيع نفسك الإكرام على به.
بعد تفكير:
– غداً سأقدم معزوفة خاصه لك، أتمنى أن تنال إعجابك، ولكن قبل هذا أتمني أرى تلك الابتسامة مجددا؟
– ابتسمت بخجل وتحدثت في دلال:
افتقدت حديثك كثيراً عزيزي، اكتشفت أني لم أكن أعاقبك، بل كنت أعاقب نفسي.

***

إذا نظرت إلى سلمان سينبعث إلى نفسك لا إراديا أن هذا الجسد أصيب بعلة ما، أهي علة العشق يا فتى من جعلتك بكل هذا الضعف والوهن؟ أم داء الشغف قد تمكن من لبك فأخربه؟ أنار شيطانه قد أذابت جليد قسوته؟
سفاك الدماء، قاتل الرجال، سفاح الشجعان، مغتال الأمراء، ملعون قومه، أخيراً سقط صريعا.
هل أعين هذه الأميرة وجدت طريقها إلى قلب فؤاده؟ لا أعلم هل أحيته بعد مماته أم ستزيد كم ندباته؟

كعادته بعد منتصف الليل كان حاضراً جالساً أسفل نفس الشجرة الكبيرة ذات الجذع الضخم، كعادته لم يتأخر عن موعده، للمرة الثانية والأخيرة يوجه عينيه صوب أعين الأميرة ياسمينه ويبدأ إطلاق ترانيمه

ماذا أتمنى الآن؟ الموت؟ نعم أعلم أن الموت ليس خلاصا لمثلي.

الجحيم؟ لا أخشى الجحيم فأنا خلقت من ناره وجمره.

أبي أمي إخوتي عائلتي بأكملها، أوقن أنهم أنقى من أن ينجبوا مسخا مثلي، أظنهم وجدوني صغيراً أمام أحد المعابد المهجورة.

والداي الحقيقين؟ ربما أبي كان شيطانا عاشر إبليسة من بني عفريت، فأنجبوا مسخا قبيحاً فقررا التخلص من خطيئتهم فتخلوا عني، هل هناك خطيئة أبشع من أن يشعر شيطانا أنه ارتكب ذنبا؟ في قديم الزمان عندما هبط الملائكة على الأرض لتخليصها من فساد الجان أبصروا طفلاً وديعا أشفقوا عليه واصطحبوه معهم إلى السماء، من هذا الطفل، إنه إبليس الأكبر، إذا كنت تنوي سؤالي كيف لوغد مثلي أن يغري ملاكا بشريا مثلها، فجدي في قديم الزمان قد تمكن من خداع ملائكة الرحمن.

بما أشعر؟ شراييني لا تحوي دما بل تحوي نارا، أشعر بالغضب السخط الغل، أبغى إحراق البشرية الآن سأتخلص منهم جميعاً وبعدها سأحطم جمجمتي فهي سبب هلاكي واضطرابي.

بالفعل أشعر بهم، من هم؟ داخل رأسي شياطيني تقاتل جنين نوري، النيران تملأ المكان، فلتأخذوني إلى هناك، هناك سأجد أمثالي، أنا ابن الجحيم وهو الملاذ الأخير لي، فلتخلصوني من

معاناتي ولترموني في الجحيم.
لم تعي ياسمينة إلى ما ترمي هذه المعزوفة، لقد أخبرها مسبقاً أنها معزوفة خاصه بها، كيف يمكن لهذا اللحن أن يوصف بالخاص بها؟ قبل ذلك استطاعت أن تفك شفرات أنغام عوده ولكن الآن الغموض والتيه عاد من جديد وبأضعاف سابقه، في النهاية قررت أميرة السكارى دفن تساؤلاتها وبدأت مناقشته في مضمون معزوفته.
– عزيزي لا تحوي أجساد الشياطين أي نور، ربما مقصدك هنا أنه ليس سوى رجل بائس ثقلت خطاياه، إذا نوى التوبة والعودة لربه ربما يجد خلاصه.
– لا أعلم.
– وأختلف معك في أمر إبليس الأكبر فهو لم يخدع ملائكة الرحمن، ولكن كل ما في الأمر أن الله قد منحه حق الاختيار، ولقد قرر اختياره، اختياره الذي لعن بسببه بعد ذلك، لقد تحمل عاقبة اختياره.
– لا أعلم.
– لا تعلم، لا تعلم، أليست هذه معزوفتك ومضمونها؟
– ليست معزوفتي، إنها معزوفة قديمة وأنا أعيد عزفها لك لا أكثر.
– لم أسمعها مطلقاً قبل الآن، من عازفها الحقيقي؟
– لا أحد يعرف ماهيته، هناك من ادعوا أنه غجري مجنون وهناك من زعموا أنه كان رجلا محتلا يهوى سكنة الكهوف، حقا لا أحد يعلم الحقيقة.

– يبدو أن حكايات هذا الرجل مثيرة بالاهتمام، لدي فضولا لأسمع حكايته.
– حتى الآن، ليست هناك حكاية لتروي من الأساس.
بتشكك :
– سلمان أريد أن أعلم حقيقتك، ولا تخبرني مرة أخرى أنك راعي أغنام فقط.
– لماذا تريدين معرفة الحقيقة؟ ربما من الأفضل أن تظل الحقيقة حبيسة الكهوف.
– لأنه يجب أن أعلم الحقيقة.
– ولماذا يجب على كشف وجهي الحقيقي لك؟
فاجئها جوابه فرغم أنها تشعر في داخلها أن قلبه يحوي الكثير من الأسرار، ولكنها كانت لا تتوقع هذه الصراحة أبدا ولكنها قررت المضي قدما:
– لأنك صديقي.
تملك الصمت سلمان وتجهم وجهه، ربما إجابتها لم ترضيه، لهذا أثر السكوت، الصمت فقط والنظر صوب مقلتيها الرائعتان هو حاله.
– صديقي المفضل.
صامت، صامت، صامت،
أكثر من صديق ربما
نطقت كلماتها الأخيرة كعادتها في تلعثم وخجل مما أصاب وجنتاها بالحمرة الشديدة وأشاحت بوجهها متفادية نظرات عينيه الجريئة.

أخيراً خرج عن صمته:
– غدا وبعدما أتم معزوفتي سأخبرك كل شيء، تصبحين على خير أميرتي.
لقد كف سلمان عن المراوغة والإنكار لقد طفح كيله أخيرا، أخيراً اختار أن يخبرها سره، حقيقته التي تثقل كاهله، وعندها سيكون لها حق الاختيار، إما أن تتقبله على ماهو عليه أو..

***

في صباح ذلك اليوم وبعد سويعات قليلة من ذهابه عن أميرته، سلمان ممدا في فراشه داخل خيمته مناجيا النوم الذي هجره منذ فتره ليست بالقليلة، وكالعادة يفكر "ماذا سأعزف اليوم، من أين سأبدأ قصتي؟" يستشعر حركة داخل خيمته أدركها بحس المحارب الخبير، فتح عيناه في إرهاق، فيبصر جندا كثيراً، أيقنهم من أول وهله، فهو دائما ما تسلل من خلف ظهورهم، جند عثمان مولى سكارى الجبار.
– لم يقاوم، نطق قائلاً:
حسناً أنا قادم معكم.
– عصبت عيناه بواسطة الجنود واصطحبوه إلى حيث لا يعلم.
في الساحة الملكية في قصر المولى عثمان، تلك الساحة التي أبدع معماري السكارى في بنائها، فهي واجهتهم أمام الأغراب كما يقولون، فك قائد الجند العصابة من على أعين البدوي، ونظر له

في شك وأثر الصمت، فتح عينيه في ضيق، لم يتعجب من مكان تواجده، وجه نظره في تأهب صوب عرش الجبار، هيئته توحي أنه جبارا بكل معنى الكلمة، رمقه الجبار بنظره من أسفل قدميه حتى أعلى رأسه وتحدث مبتسماً:

– عذراً أيها المحارب على طريقتي في استدعائك، لم يمهلني حليفي المهيب سيف الله سليمان الوقت لكي أطلبك بالطريقة المناسبة، سأترككم الآن لتحظوا ببعض الحديث أنت ومليكك، ملك مملكة البدو، اعتلت الصدمة وجه سلمان وسأل نفسه بدهشة وتعجب، ما الأمر الجلل الذي حمل الملك المهيب على إتياني هنا في أرض السكارى؟

وجه المهيب ناظريه صوب عازفنا بحنق كأنه يستعد لإطلاق وابلا من الأسهم نحوه، وتحدث في تجهم وعنف وأسي:

– لقد بدأت الحرب، الحرب التي أقحمتني فيها أنا وشعبي، لقد كانت بدايتها كارثية على شعبنا، حدد موعد المعركة وأرسلنا عين البصاصين لإخبارك ولكنك خذلتنا كالعادة، في الأرض العقيمة تلك الأرض أظنك تتذكرها لا يمكنك أن تنساها، هاجمنا الجدد من الخلف انتقاماً لمقتل أميرهم، هل بالفعل قتلت صاحبك؟ لقد حوصرنا بين القدامى والجدد، واستشهد أثناء ذلك قائدي غانم المغوار رحمة الله عليه، قتل في سبيل معركتك التي لم تتواجد عند بدايتها، تراجعنا إلى خلف حصوننا، اكتفي القدامى بإذلالنا ولكن الجدد لن يهدأ لهم بال إلا عندما يظفروا برأسك، يعتقدون أني استسلمت، ولكني لن أقبل هذا العار مجدداً، وشعبي معي،

إما النصر أو فلتكن نهايتنا، أين كنت عندما بدأت معركتك أيها الخاسر، أين خططك واستراتيجياتك التي أخبرتني عنها، أتذكر وعدك؟

– أذكر مليكي، ورحم الله قائدي ومعلمي محاربنا الأعظم غانم المغوار.

– قتل غانم وهو يحارب في معركتك أيها الماجن، لو كنت تملك أي ذرة عقل لأتيتنا بعدما قتلت أمير الجدد، لقد كان صادقاً عندما أخبرني أنك فقدت عقلك، بعث الجبار رأس صالح إلى ذويه، وبعث الجدد برسلهم لأخبار الجبار حقيقة ما حدث، لولا أن وصلتنا الأخبار، ولحق سمعان وسالم بالرسل واغتالوهم لكنت بين الهالكين الآن.

– أين سمعان الآن؟

– ذهب بعدما أتم مهمته، أتعرف رفض أن يحصل على مقابل خدماته، قال أنه فعل كل هذا لأجل صديقه، أي صديق أنت لتستحق كل هذا الوفاء، لقد حارب الجميع في معركتك وأنت لم تكن متواجداً، هل عدت لعادتك، هل هربت، هل خنت شعبك مجدداً؟ يا لعنتنا.

– لم أهرب، أنا عند عهدي، لقد فوت البداية فقط والمعركة مازالت معركتي يا عمي.

– هيا لنذهب الآن، أياكان المجهول فلنجعلها تستحق التضحيات التي بذلت وستبذل في صالحها.

– لن أتى معك يا عمي تبقى لي ليلة هنا.

– بحده وغضب، حسنا حسناً أنت تهرب ثانية، لا أعرف كيف سولت لي نفسي أن أثق في مثلك.
– أقسم لك أنا لا أهرب، وسأجعلها ملحمه تاريخية خالدة كما وعدتك، ولكن هبني ليلة أخرى.
– لا لا لن يحدث هذا، إما أن تصحبني أو أقتلك هنا والآن.
باستعطاف:
– أتوسلك امنحني ليلة أخيرة فقط.
بتهكم:
– أراك ضعيفا منهكا، من أين لك بهذا الوهن أيها القوى، لماذا تصر، أخبرني ماذا هناك.
– لا يهم ليلة أخيرة فقط عمي.
– بعد يومين سأقود جيوشي وسنباغت القدامى، لو لم تأتني غدا سأرسل رسلي وسأفضح أمرك أمام السكارى.
– حسناً، أعاهدك على هذا.
– عهدك لا يساوي شيء، سلمان هل تمتلك خطة فعلا.
–سأخبرك بكل شيء عندما أعود، قبل الجولة القادمة لمعركتنا.

هناك ثلاث أسباب حملوا المهيب على المجيء إلى عالم السكارى، الأول: إكرام لوصية قديمة من أخ.
الثاني: أملا أن يكون سلمان بالفعل على اتصال بالمبشر.
الثالث: البدو والسكارى يجمعهم حلف قديم لا أحد يعلم متى بدأ وما أسبابه حتى، ولكن كليهما ورغم انقطاع العلاقات بينهما

منذ عقود عدة على علم بهذا الحلف.
ولهذا أتى المهيب ساعيا لإقناع الجبار أن يمده بالرجال وهذا ما رفضه الجبار رفضاً قاطعاً، رغم أن الزعيم سالم حاول إثناء المهيب عن هذه الخطوة المتدهورة ولكن اليأس قد تمكن من أعتي الرجال أخيراً.

***

لماذا ولد بدويا ولم يولد سكاريا، فرغم سوءه أظنه سكاريا أكثر منه بدويا، لكي يوجد خير فلابد من وجود شر، النجاح تضاده الفشل.
هل أنا سيء فعلا؟ أو أنا فقط قبلت أن ألعب دور الرجل السيء إرضاء لرغابتهم، فلكي يمسي صالح أمير نبيل شريف لابد أن يكون هناك أمير ملعون، الأمير مالك الشهم الهمام ولد قائداً من رحم الجريمة، جريمتي، الداعر ولهان كذلك، القائد غانم المغوار أصبح الأعظم لأنه كان دائما في موضع مقارنة مع المحارب الخاسر. لا يهم فرغم كل هذا فقد تمكنت من إثنين منهم والثالث قتل في سبيل مبادئه، والأخير ليس بأفضل مني ولن يحظى بحكاية، أما أنا فقصتي لم تنتهي بعد.

الفصل التاسع

اللعنة

قبل سنوات كانت الحياة مختلفه في أرض البدو فعلى يسار مملكتهم كانت أرضهم،نصيبهم من الجدول، أرض تفيض عليهم بخيراتها تكفيهم مواردها وتفيض ويصدرون منها أيضا.

نزاع قديم بين البدو والنمطيين القدامى على الجدول، راح ضحية هذا الصراع على مر الزمان ألاف الأرواح من الجانبين إلى أن تمت الهدنة قبل ما يزيد عن المائة عام.

الجدول تلك المساحات الشاسعة من الأراضي الزراعية التي يشقها النهر القديم أصبح ثلثيه من حق القدامى والثلث الأخير من نصيب البدو إلى أن حلت اللعنة.

لم يكن حاله كنظيره الآن، كان صبيا مراهقا الكل استبشر له بمستقبل مزدهر ربما يفوق أباه يوما، الأمير سلمان ابن قائد الجيوش المجيد سليم لم يكن المغوار قائدا وقتها لم يكن سوى محاربا فذا وأحد معاوني المجيد، أمير يافع نابغ الذكاء مهاراته في القتال بانت منذ صغره، رغم بعض طيشه واستهتاره وجراءته الغاشمة إلا أن الكل كان على يقين أن هذا كله سيذيبه الزمن وسيصبح أكثر حكمه ودهاء عندما ينضج ويكبر.

حتى الآن كل هذا جيد، إذا من أين أتت اللعنة؟ ما الذي يسقط

أعتي الرجال؟ ما سبب هلاك أقوى الجبابرة؟
أمبراطوريات سقطن بين ساقيهن.
فتاة؟ لا لم تكن فتاة، بل سيدة من إحدى العائلات الشريفة للقدامى، أعجبت بالأمير سلمان، فتنها شبابه وحيويته حاولت إغراءه بكل ما تملك، ولكن براءة الصبية الفطرية منعته عنها، أغوته كثيراً وتجنبها ورفضها كثيراً، ولكنها أقسمت أنها لن تدعه لحال سبيله فأخذت بخبرتها تنصب له المصائد فلن تتركه إلا أن يحط عصفوره في عشها.
في أحد الأيام والأمير الشاب يتجول على فرسه في الجدول وإذا به يسمع صوتها يناديه من داخل ذلك الكوخ كأنها تستنجد به من شيء ما، هرول إليها قفز من أعلى فرسه وركل باب الكوخ في قوه ودخل لها، وجدها عاريه ونار الرغبة تشع من عينيها لم تمهله هجمت عليه وبخبرتها نالت منه لم يقاومها استسلم أخيراً، شهوته غلبته، ومن يعيب على صبي في موقف كهذا، ولكن لم تكتمل متعتهما فلقد أبصر الحدث من البداية أحد فلاحي القدامى، وماهي إلا ساعات معدودة وعلم الجميع بأمر شريفة القدامى وأمير البدو، في اليوم التالي أتت الأخبار من مملكة النمطيين القدامى أن بعد التأكد من الشهود فإن الأمير المراهق سلمان قد تهجم على إحدى شريفات القدامى واغتصبها وأن القدامى لن يفوتوا ذلك ولن يرضوا بأقل من رقبة الأمير تكفيرا لتلك الخطيئة، اجتمع الملك حديث العهد سيف الله سليمان مع قادة البدو وبالطبع ما خرج من طاولة الحسم ذلك اليوم هو الرفض التام

لتسليم رأس الأمير إلى القدامى الشخص الوحيد الذي عارض هذا القرار هو قائد الجيوش المجيد سليم.
حسناً إنها الحرب إذا لا سلام بعد الآن الجدول سيكون من حق مملكة واحده فقط، المنتصر سيحصد كل شيء، تحدد مكان المعركة في المنطقة المحايدة، الجدول، تجمعت جيوش القدامى بقيادة قائدهم الصمدي حسان أحد أبرز المحاربين في هذا العصر وكذلك جيوش البدو بقيادة المجيد ومعاونه المغوار، تقدم المحنك الصمدي حسان وتحدث: لا أرى فائدة من أن يموت هذا الكم من البشر جراء غلطة صبي طائش.
نظر الجميع إلى بعضهم باستغراب ولكن زالت دهشتهم عندما أكمل: فلنحسمها على طريقة أجدادنا المحاربين القدامى يا مجيد فليتقدم مختاركم وكذلك مختارنا.
لقد طالب الصمدي بنزال الموت عرضه يحمل الكثير من الذكاء والخبث فهو يعلم أن المجيد سليم سقما قد أصاب جسده هذه الأيام ولم يعد كسابق عهده، وهذا ما فطن له ملك البدو وبعد محادثات ومشاورات كثيره اتخذ القرار مصير الجدول سيحسم بين سيفي الصمدي والمغوار، نزال الموت عندما يتقدم مختار أحد الطرفين لا يلتف ويتراجع فهذا يعتبر انسحاب، لا ينتهي النزال إلا بموت أحد المختارين أو انسحابه وعلى كل حال فلن ينسحب أحدهما لا أذكر أن شيئا هكذا حدث على الإطلاق فالأصعب من الموت هو العيش موصوما بعار الانسحاب.
غانم المغوار كان متحمسا بشده لخوض هذا النزال فلو تمكن من

الصمدي الذي ينهل إحدى مدارس القدامى فإنه سيعانق المجد وسيدخل التاريخ من أوسع أبوابه، وإذا قتل فليس هناك ماهو أشرف من أن تقتل في نزال الموت وعلى يد المخضرم الصمدي حسان، تقدم الصمدي ممتطيا فرسه بثقة منقطعة النظير ونظر نحو أعين المغوار كأنه يبعث في نفسه الرهبة، هم غانم بالتقدم ولكن ما حدث كان بمثابة مفاجأة قاتلة للجميع فمن وسط صفوف البدو تقدم جوادا يحمل أحد الصبية في بغتة وفجأة من الجميع، ووقف أمام الصمدي إنه الأمير سلمان، يا للفاجعة مصير أمة بالكامل أصبح بين يدي مراهق ولا سبيل للتراجع، استفز هذا الصمدي وهجم بقوة على سلمان ساعيا لإنهاء هذا العبث الذي بدأه هذا الصبي وقد تمادى فيه الآن فهو لا يدرك نتائج أفعاله،فكيف لأمير أن يكون بكل هذا الطيش، ضربات متتالية قوية من سيف الصمدي ودرع سلمان صامدا حتى الآن ولكن لن يطول الأمر إذا استمر هكذا، بدأ الأمير بالتخلص من هذا الهجوم الشرس وأخذ يبتعد رويداً رويداً متجنبا ضربات سيف الصمدي، أصبح النزال الآن عبارة عن كر وفر، تارة يقترب سلمان من الصمدي ويتلقى بعض الضربات التي يصدها بسيفه ودرعه وتارة أخرى يهرب منه بخفه ويظل يلتف حوله متفاديا سيفه ولم يوجه ضربة سيف واحدة صوب عدوه حتى الآن، تمكن الضيق والغضب من الصمدي وأخذ يوجه الضربات بقوة غاشمة وطيش نحو سلمان كلما تمكن واقترب منه، في هذه المرة رمي درعه وأمسك سيفه بكلتا يديه وأخذ يوجه الضربات نحوه بأكثر

شراسة حتى سقط درع سلمان من يسراه وهنا رفع الصمدي سيفه وأنزله بقوه ولكن سلمان وبخفه ورشاقه قفز من أعلى فرسه فشقت ضربة السيف الحصان نصفين وأثناء قفزته باغته سلمان بأول ضربة من سيفه وكانت أعلى كتفه كادت أن تفصل كتف الصمدي عن جسده.

وقف سلمان على الأرض في شموخ كأنه قد وصل إلى مبتغاه ونظر إلى نده الذي يتفحص جرحه العميق في زهو وكبرياء، انطلق حصان من وسط الحشود نحو سلمان ركبه في سرعة وحماسة وأخذ يوجه ضرباته صوب الصمدي المنهك والمتألم جراء جرحه ظلا يتناوبان الضربات سلمان في حماس وقوة والصمدي في يأس وإحباط حتى سقط سيف الصمدي من يسراه الضعيفة، الجميع يتأهب الآن وينظر نحو رأس الصمدي فإنها لحظاتها الأخيرة فبعد ذلك لن تبصرها ملتصقة بهذا الجسد أبدا، نظر الصمدي نحو سلمان وتحدث في حسرة وكأنه ينطق كلماته الأخيرة:

– لقد نلتها أيها الفتي الماكر فلتنهي كل ذلك الآن.

نظر سلمان نحو الجمع في فخر وقرر أن يواصل جنونه إنه مختل بالفعل، ألقى سيفه أرضاً أخرج خنجره إنه يقفز من على فرسه مجدداً ليس نحو الأرض بل صوب الصمدي، يريد أن يجعله يوما لا ينسي إنه كذلك بالفعل أيها المختل، يقفز كذئب ينقض على فريسته خنجره مصوبا نحو عنق الصمدي، ولكن الصمدي لم يعطه هذه الفرصة فبسرعة فرد ظهره على ظهر فرسه ورفع قدماه وقابل بهما سلمان في صدره دافعاً إياه أرضاً، سقط الخنجر من

يد سلمان بعيدا، قفز الصمدي من أعلى جواده بأكثر سرعة التقط سيفه، لم يكد سلمان يفوق مما حدث حتى وجد سيف الصمدي على رقبته، أثار السقوط والصدمة منعت سلمان من التحرك تحدث الصمدي بكلماته الأخيرة:

لقد قتلك غرورك أيها الصبي. وهم رافعا سيفه لأعلى ناويا نحر عنق الأمير،وهنا حدثت الفاجعة رفع سلمان يمناه وقبضها، لقد استسلم.

وما حدث بعد ذلك لا أظنه خفيا عليكم، يقال أنه بعد ذلك بعام اختطف تلك السيدة وأخذ يغتصبها ثلاثة عشر يوماً في أحد تلك الكهوف كهوف الجبل وبعد ذلك قدمها كوجبه للذئاب وهي حية.

❁

في صغره حدثته إحدى عرافات الغجر بنبوئه مبهمة غامضه:

درب المجد يبدأ بقتل النمطي، قتل النمطي يعني هلاكا أبدا، لا تقتل النمطي يا ولدي، لا تقتل النمطي يا ولدي، لا تقتل النمطي

❁

الآن أدرك، النمطي لم يكن أبدأ الأمير صالح، ليس هو المقصود.
هل ولد سلمان بنقص ما؟ لا لقد ولد أميراً.
هل ولد بعلة ما؟ لا بل أنعم الله عليه بالذكاء والقوة.
إذا ماذا هناك أين تكمن العلة؟
حياتك ماهي إلا مجموعة خيارات، اختياراته رسمت مصيره، حتي تلك المعركة هو من ابتغاها وحارب ليظفر بها، ليس هناك مفر الآن، ولدت محاربا وقدرك أن تموت محاربا أيها الفاني، هل يمكنه تغير الدفة هل يمكنه قلب الطاولة؟ لا أعلم ولكنه دائما ما وجد حيلته، ولكن السؤال الأهم هو: "هل يريد فعلا البقاء وعدم خوض تلك المعركة؟"
لا أعلم.

***

في أحد ميادين إحدى المدن السبعة، مدن الساحل، يقف هذا الرجل أعلى منصة نصبت لأجله خصيصاً، هذا الرجل الذي يلقب نفسه بحامي الساحل بدأ يلقى خطابه في هذه الحشود الغفيرة المحتشدة لأجله:

أيها الساحليون، الأسماك الكبيرة أصابها السعار والطمع لدرجة أنهم التهموا بعضهم البعض، لم يعد للبدو سلطة علينا، لم يعد هناك بدو من الأساس، الجدد لن يسهلوا لهم العبور إلى أراضينا

مجدداً، الجدد خانوهم والقدامي أذلوهم، لا خوف من الخاسر الملعون بعد الآن، سنستغل انشغال البدو والقدامى والجدد في صراعاتهم ومن الآن سنبدأ في بناء حصوننا وتقوية جيشنا والسير نحو القوة، لن ندفع لأحد جزية بعد الآن، لن ندفع جزية بعد الآن، لا جزية بعد الآن.

وبدأ جمع الحشود في الترديد

لا جزية بعد الآن، لا جزية بعد الآن، لا جزية بعد الآن، لا جزية بعد الآن.

***

بعد لقائه بالمهيب عاد سلمان إلى خيمته وقد تمكن منه الحزن والألم.

– الليلة، ليلتي الأخيرة أميرتي في مملكتك، ليس سبب رحيلي فقط تلك المعركة، ولكني منهك، أشعر أني استنزفت، أتعلمي؟ لم يكن لي شيطانا قط، اكتشفت أن شيطاني ليس سوى روحي، وروحي تقتل، إني أنتهي، روحي تعاني سكراتها الآن، أنت من شهدتي مولد جنين نوري، ذلك الجزء النقي في غياهب روحي، لن أدعه يقتل، هو ملكك سأتركه لك أسفل شرفتك عند رحيلي.

ربما كانت تلك رسالته وربما لا، عقد العزم أن تلك الليلة لن تصبح ليله وداع، لن يخبرها أنه ذاهب، لا يريدها أن تعلم بأمر ذهابه، ربما تكتشف هذا بعد أيام، شهور، أو سنين، ربما تفهمه

في وقتها، ربما لا تعلم ذلك أبدا،ربما لا تهتم من الأساس، أظنها قد تسخر منه، قد لا تبالي بأمر ذهابه، حسناً، لا أعلم، ولكني أوقن أنه يكره عزف لحن الوداع.

طيلة يومه وهو يعمل على تلك المعزوفة، يجاهد سكرات روحه لأجل إنهاءها قبل أن يهم ذاهبا لأميرته، إنه يقبل عوده، أشعر أنها القبلة الأخيرة، أظنه سينهج منوال تلك النهاية، هل سيعزف سلمان البدوي تلك المعزوفة حقاً؟ إنها معزوفة أسطورية خالدة هل سيتقنها؟ لا أعلم من أين أتتك الشجاعة أيها البدوي لتفعلها، هل جننت ستعزف حقا لحن "الخاتمة الأسطورية لقصة قطر الندى والغجري المجنون" لياسمينة الأميرة أيها المختل؟

من أين لي بكل تلك التفاصيل؟ لماذا حكايتي تروي من منظور واحد؟ أين الجانب الأخر من القصة؟

من أنا؟

لا يهم..

هل أخبرك سراً، سلمان البدوي لم تطأ قدميه شرفة الأميرة ياسمينة مطلقا لم يحاول تسلق تلك الشجرة أبدا.

الفصل العاشر

في خاتمة قطر الندى والغجري المجنون

يشاع أنه كان بحارا، بالتأكيد ليس قبطانا، ربما كان قرصانا، أظنه كان غجريا أو مجنونا، ربما لم يكن سوي أحد العامة فقط، قد يكون ذئبا متخفيا في هيئة بشرى،لا أعلم، الغجري، ابن الغاب، ساكن الكهوف، رفيق الشيطان، ملك الجبال، لا أحد يعلم ماهيته، فقصته الأخيرة لم تحوي حكاية على أي حال، ليست هناك حكاية لتروي من الأساس، أظنه منحها حق تخيله كما شاءت، لم يكن هناك سوى نهاية فقط، خاتمة.
يقال أنه هوى أن يدعى في خلده بالكاتب، لم ينعته أحدا بذلك قط،لم يقرأ كتاباته إنسان سواها، لم يكشف وجهه الحقيقي لأي كان عداها، هي الوحيدة التي شهدت ظلامه، تغلغلت في غياهب نفسه، لامست روحه، واجهت شيطانه، إنها قطر الندى، قطرته كما أحب أن يدعوها.
عند رحيله عنها لم يودعها، كتب لها قصة، ليست قصة كامل، إنها خاتمه فقط، ولقد منحها الحق أن تخطها يدها إذا بغت ذلك.

تخطت الساعة منتصف الليل بقليل، تأخر سلمان عن موعده تلك الليلة، فلقد كان يصارع لأجل إكمال لحنه، البدوي الآن

يقف أسفل شرفة الأميرة ياسمينه، أرسل لها إشارة وصوله ولم ينظر إلى أعلي بعد ذلك، وبدأ يعزف لحنه.

ربما لم تكتب قطر الندى تلك القصة أبداً، ربما تجاهلتها ولم تبالي أمره وأمر كلاماته، ربما كتبتها ولكن لم تستشف أنها قصتها هي والغجري، ربما نستها بعدما أوفت بعهدها، وأحرقت كتابات المجنون، لا أعلم حقاً مصير تلك القصة.

شارف سلمان على إنهاء معزوفته، يشعر أنه يمزق ولكنه مازال يقاوم عاصفة من آلام تجتاح دواخله ووجدانه.

هل أخبرك سراً آخر؟ ساكن الكهوف لم يكتب خاتمة قصته فقط لقطر الندي، لقد كتب قصته قبل الأخيرة أيضاً، لا أذكر حقاً ماذا أطلق عليها، ربما أسماها سلمان وياسمينة، أعتقد أنها كانت "حكاية البدوي خاسر وفاتنة السكارى"، لا أتذكر حقا فأنا مشوش، أنا أستنزف.
لم يكتفي بذلك فلقد كتب أيضاً رسالته الأخيرة، رسالة الرحيل، أعلم أنه لم يرسل تلك الرسالة كاملة، فكبريائه رفض ذلك، أظنه أرسل جزءاً مقتضبا منها، لم يقرأ كتاباته الأخيرة قبل أن يتركها على عتبة باب قطر الندى، هو خطها فقط، ربما لو كان قرأها لقام بتمزيقها، ولم يرسلها أبدا، أنهى كتابة آخر كلماته، طرق باب قطرته، وضع أوراق قصته وأنزل قلمه ورحل، لن يكتب

مجدداً، وكان فحوى رسالته:..

انتهي سلمان البدوي من معزوفته، الآن هو ينهي رسالة رحيله، يخطها على عوده، لم يرفع عيناه للأعلى أبدا، عيناه مصوبتان نحو عوده فقط، فرغ من رسالته، هم واقفاً، أدار ظهره لأميرته، نزع جلباب البدوي، كشف عن زي المحارب، إنه يحتسي السواد مجددا، وذهب إلى معركته، معركة قد تكون شاهدة على نهايته، قد يعيش ليقتل في معركة أخرى، قد لا يجد الخلاص أبداً، قد يغتاله خليله الماهر يوما، قد ينهزم، قد ينتصر، ربما يجد السلام الذي طالما بحث عنه.
رحل..

الرسالة

عزيزتي قطر الندي
لقد نصبتك ملكة على عروش عوالمي، صنعت لك تاجا نصفه ياقوت والأخر مرجانا، وكرسيا من ذهب وأخر من عاج، صنعت لك تابوتا من فضه وزينته بأثمن لؤلؤة فاضت به بحاري ومحيطاتي. ربما يوماً ما سوف أقتلك في خيالاتي، سأبني لك ضريحا، ستأتيك شعوب عوالمي من كل حدب وصوب باغين بركاتك وهباتك، سيحج إليك أبطالي سائلين النصر قبل الذهاب لمعاركهم وكذلك فرساني وجنودي، ستكونين مقصدا للمجرمين والمذنبين السكارى منهم والفجار، سيأتونك متذللين طالبين السماح والغفران، لن أزور ضريحك قط،لن أستجديك لحظه، فأنا سأكون عدوك الوحيد، سأجاهدك بكل ما أوتيت، لن أنال منك، لن أهزمك أبدا، أعلم هذا، ربما ستحاولين إصابتي بلعنه ما، لا يهم فأنا لعنت ألاف المرات،ربما يوماً ما يغدر بي فارس من فرساني أو بطل من أبطال أوهامي، ربما يغتالني بدويا أو غجريا، ربما شخصا ضعيفا نكره لم أعطه أي أهميه، تغافلت عنه وهو ينمو في خيالي يتغذى من روح ظلامي،أوصيتهم أنه حينما تأتي ساعتي، فليحملوني إلى ضريحك،و ليقوموا بصلبي هناك أمام ناظريك. فلتكن عيناي صوب عيناك إلى أبد أبدين.
قطرتي أتتذكرين عهدنا...؟
واصلي كتاباتك، طاردي أحلامك، استمري في نشر سحرك،

لا تتوقفي أبدا، اركضي بكل ما أوتيت من جهد لتحصلي على مبتغاك، ولكن احذري عزيزتي أن ينقلب السحر على الساحر.
ربما لم أعني لكي شيئا، ربما لم أكن سوى مجرد عابر من كثر عابرين، ولكنني بالتأكيد عابرا لن ينسى .
قطرتي إذا حان وقت رحيلي يوما وذهبت دون أن ألقي سلاما فكوني على يقين أني سأفتقدك.
سأفتقدك عزيزتي.

***

هل أخبرك السر قبل الأخير؟
تلك لم تكن الليلة الأخيرة للمحارب سلمان في عالم السكارى، كانت هناك ليلة أخرى.

الخاتمة

تريد أن تعلم ماذا حدث تلك الليلة؟
حسناً، لن أخبرك أبداً..
فهذا مفتاح سري الأخير

***

في أرض البدو الجيوش محتشدة، الملك المهيب يخطب في جنوده ليبعث في نفوسهم الحماس المفقود:
– لقد عاني شعبنا كثيرا وحان الوقت لنتخلص من هذا العذاب، الليلة ليلتكم أبنائي في الصباح الباكر إما أن نتناول إفطارنا ونحن نحتفل بنصرنا أو في قبورنا مستشهدين، هيا لنستعيد أرضنا يا أبطال ونزيل لعنتنا.
لم يكد ينهي كلامه حتى أبصروا فارسا يمتطي جوادا يركض نحوهم إنه المحارب سلمان، وصل حد الملك وأوقف حصانه وهبط أرضا، عيناه مليئتان بالحمرة والغل كأنهما استبدلتا بجمرتان من حجر جهنم، نظر إلى الملك ثم حول ناظريه إلى الجيوش أطلق كلماته في سخط وعيناه تشعان نارا وشرا:
– فلترافقوني في طريقي إلى العظمة أو فلنتناول عشاؤنا القادم في الجحيم أيها البائسون.
جذبه الملك من ذراعه ونطق:

– لقد تأخرت ليلة عن موعدك أيها المحارب.
– لقد منحت نفسي تلك الليلة.
– لا وقت للحديث عن ذلك، المهم أنك هنا يا ابن أخي، الليلة سنفاجئ القدامى بهجومنا.
– القدامى ليسوا من ضمن أولوياتي وليست خطتي محاربتهم.
المهيب مجاريا جنونه:
– أعلم ذلك ولكن هدفك سلطنة الخالدين لا طريق آخر له سوى الاستيلاء على أرض القدامى.
– لن أذهب الخالدين من الأمام سنباغتهم من الخلف يا عمي.
– أي هراء هذا الذي تتحدث به؟ فلا يوجد لذلك إلا طريقان وكلاهما من المستحيل التفكير بهم.
– لقد وضعت خطتي أخيراً
– علام تحتوي خطتك؟ هل أقنعت عين البصاصين أن يكشف سره الأعظم لنا؟ هل سنخوض وادي تمايا؟
– لا، الدرب الأخر.
– عن ماذا تتحدث أيها المعتوه؟ ملكهم لن يوافقنا علي هذا الجنون ولن يسمح لنا بذلك أبدا.
– سنأخذ ذلك الحق منه.
المحارب سلمان يتحدث بثبات منقطع النظير كأنه ولأول مرة في حياته يوقن وجهته وهدفه والملك مندهش ومنزعج من ما ينوي عليه سلمان، إنه وصل لأقصى درجات جنونه ربما عمه يفكر في التخلص منه الآن.

– لا أوافق على ذلك أنا ذاهب بجيشي لأستعيد الأرض التي أضعتها أنت.
– لن تذهب إنهم يعلمون بأمر زحفك إليهم الليلة ولقد نصبوا لنا الكمائن.
– من الخائن الذي أوشى بنا؟ أخبرني يا ابن أخي.
– أنا.
– لماذا لماذا تفعل كل هذا بنا أيها الخائن؟
– لأجبرك يا عمي أن تسير معي، فأنا أيقنت وجهتنا أخيراً.
– لن أخون حلفائي يا سلمان، لا تنسى أنهم من احتضنوك عندما لفظك العالم.
– لقد تمت الخيانة بالفعل ملكي، لقد اغتال أحد محاربيك قائد جندهم البارحة.
– ماذا؟
نظر سلمان نحو الجواد الذي بجانبه وحسس بيده على رقبته بعطف :
– ألم ترى يا عمي كيف يبدو هذا الفرس حزينا، فلقد مزقت صاحبه اليوم واقتلعت قلبه بيداي أمامه، إنه حصان قائد جندهم.
عندما نطق آخر كلماته نظر المهيب إلى الزعيم سالم الذي يقف بجانبه، الزعيم سالم الذي لم يحرك ساكنا، لأول مرة يجد عقله عاجز عن إيجاد مخرج، لم يترك سلمان أمام الملك خيارا آخر سوى اتباعه، فلقد رتب لكل شيء بدقة وإتقان، والبدو أصبحوا بين ليلة وضحاها أعداء الجميع، المهيب البائس لن يبقي متسترا

خلف حصونه منتظرا أن يأتي أحدهم ويبيد شعبه في الأخير، هناك معركة يجب أن تخاض.

– ماذا تقصد؟ علام تنوي أيها المختل؟

– الليلة سأنتزع عرش الجبار.

• • •

انتهى الجزء الأول

فهرس

ساكني الكهوف..... ١
يصعد مسرح قلعة المبدعين..... ٦
قطر الندى..... ٧
عواء الحرية..... ٧
واجه أو مت مثلهم ١٠
كتابات صبيانية عشوائية ١٢
هامش الهامش..... ١٥
وداع كاذب ١٧
المصير ١٩
أبناء الكذبة ٢١
تمتمات (١)..... ٢٣
تساؤلات ١ ..... ٢٤
ربما كنت أستحق رثاء..... ٢٥
تساؤلات ٢ ..... ٢٦
الخلق ٢٧
البعث..... ٢٨
تمتمات (٢)..... ٢٩
ليلة جميلة نعم بها شيطاني ٣٠
سر المجنون..... ٣١
تمتمات ما بعد الخاتمة..... ٣٣
الانتظار ٣٤

الفصل الأول ٣٦
في سيرة سلمان البدوي وأميرة السكارى ٣٦
صباحا في أرض القدامى..... ٣٧
أوائل الليل في أرض البدو ٤٠
الفصل الثاني ٤٦
أساطير البدو والذئاب ٥٦
الفصل الثالث ٥٩
الفصل الرابع ٦٩
الفصل الخامس..... ٨٢
النمطيين ٩٢
الفصل السادس..... ٩٤
يحكى أن..... ١٢٤
الفصل السابع..... ١٢٧
المغوار لن يبزغ فجره من جديد ١٤٧
الفصل الثامن..... ١٤٨
الفصل التاسع..... ١٥٨
اللعنة..... ١٥٨
الفصل العاشر ١٦٧
في خاتمة قطر الندى والغجري المجنون..... ١٦٧
الرسالة ١٧٠
الخاتمة ١٧٢

عن الدار ومشروع النشر الحر

دار لوتس للنشر الحر هي أول دار نشر حرة يملكها كل كاتب، تعتمد مبدأ النشر الحر من خلال مشروع طموح يهدف إلى تخطي عقبات النشر ومساعدة الكاتب للنشر بطريقة تمنحه الحرية الكاملة وكل الحقوق والصلاحيات للتعامل مع كتابه دون استغلاله مادياً أو معنوياً، ودون احتكار لمجهوده الفكري في عملية تجارية، وبدون تكلفة مالية.

هي مشروع خدمي وليس تجاري، تدعم الكاتب الموهوب وتسانده، تحاول الارتقاء بمستوى الأدب وتهدف إلى احترام الكاتب والقارئ من خلال نشر كل ما هو جيد دون الإساءة لشخص، أو أشخاص، أو مؤسسات، أو أفكار، أو عقائد، أو ديانات، أو أنظمة سياسية.

إصدارات الدار

٠٠١ قلم عطر
٠٠٢ وعادت ريما
٠٠٣ مثل ليلة حب
٠٠٤ وكأني أحبك
٠٠٥ عالم قراطيس قراطيس
٠٠٦ أوتار
٠٠٧ دماء على ثوب أبيض
٠٠٨ أموات فوق الأرض
٠٠٩ بقلم رصاص
٠١٠ حريق على الجسر
٠١١ القدرات السحرية
٠١٢ العالم لن ينتظرك
٠١٣ عندما ينتحب الياسمين
٠١٤ مرايا
٠١٥ البوهيمي
٠١٦ أيها الشباب لا تفقدوا الأمل
٠١٧ خريف مريم
٠١٨ حلم صريع
٠١٩ مُتيم
٠٢٠ يوميات رجل محسود
٠٢١ هدوء ما قبل الانفجار
٠٢٢ الموؤودة
٠٢٣ أنين المساجد
٠٢٤ صوت السماء
٠٢٥ طبق كشري
٠٢٦ وأحببتك بعين قلبي
٠٢٧ ما لا تعرفه عن الهجرة
٠٢٨ الأيام الأخيرة
٠٢٩ موانئ الرغبة
٠٣٠ ١٠٣
٠٣١ زمن الحنين
٠٣٢ أوراق على دفتر الحنين
٠٣٣ أحببتُ شبحاً
٠٣٤ حكايات من التاريخ
٠٣٥ كلمات ربي (ج١)
٠٣٦ وشم على كتف الحياة
٠٣٧ كيتو ياكيفو
٠٣٨ يتيمة بأبوين
٠٣٩ مائة عام على كوكب الأرض
٠٤٠ نبوءة عاشق
٠٤١ رصيف نمرة ٢
٠٤٢ قمر الدم
٠٤٣ حنين الحنين
٠٤٤ نساء وقيود
٠٤٥ الآهات المكبوتة
٠٤٦ عن الذي استدان ليشتري الشقاء
٠٤٧ كتبتُ أحبك
٠٤٨ فلاكا
٠٤٩ الآدم وهي
٠٥٠ أحلام فجر
٠٥١ مفاهيم إدارية لثالث ألفية
٠٥٢ عاشق الضي

٠٥٣ أنامل قصصية
٠٥٤ مملكة روح
٠٥٥ ماهر وسماهر وبئر النسيان
٠٥٦ الضال
٠٥٧ خليج بلا وافدين
٠٥٨ في ليلة شتا
٠٥٩ الشيطانة وعصا الجحيم
٠٦٠ أنين وردة
٠٦١ لا تتعجلي الرحيل
٠٦٢ بدون
٠٦٣ من الأكاديمية إلى الفيلا
٠٦٤ بردية رع (ذهاب وعودة)
٠٦٥ كاتب ونساء وعبث
٠٦٦ جيهينا
٠٦٧ مذكرات خادمة من مونار
٠٦٨ بعيداً عن العالم
٠٦٩ قمر الدم (العودة)
٠٧٠ سئمت الغربة
٠٧١ هكذا ضعنا
٠٧٢ حلم
٠٧٣ شيء من قلبي
٠٧٤ قطوف وحروف
٠٧٥ عائدة من الموت
٠٧٦ شياطين السموم
٠٧٧ حوار في الأفكار
٠٧٨ وأد الزهور
٠٧٩ أغاني البادية
٠٨٠ الفراشة البيضاء
٠٨١ مدينة حرف
٠٨٢ عذرية ما قبل الواحدة
٠٨٣ حواديت مدينة الرحاب
٠٨٤ الضحية
٠٨٥ غيمات حبر وحب
٠٨٦ كهف الجحيم
٠٨٧ الحبيب المستحيل
٠٨٨ تنمية الفكر الابتكاري للطفل
٠٨٩ المنهج الإصلاحي
٠٩٠ نفيش
٠٩١ ورد وشظايا
٠٩٢ ولوج
٠٩٣ الفن مين يعرفه
٠٩٤ أسطورة كريتوس
٠٩٥ عهد
٠٩٦ نبض حرف لا يخون
٠٩٧ عبد اللاه
٠٩٨ ساكني الكهوف
٠٩٩ أخبرت البحر عنك
١٠٠ أحرفي تتراقص
١٠١ لا تحزني
١٠٢ حلم عاشق
١٠٣ إحساس درويش
١٠٤ أقلام حائرة
١٠٥ خشوع بمحراب الحب
١٠٦ قمر الدم (رحيل الآلهة)
١٠٧ أرض الفيروز
١٠٨ عبرات ضاحكة

١٠٩ أنا يحيى
١١٠ نظم المعلومات المحاسبية
١١١ حكاياتي المحروسة
١١٢ حروف من قلبي
١١٣ على الأعراف
١١٤ زواج افتراضي
١١٥ رجماً بالغيب
١١٦ ألمانتا
١١٧ خواطر مع الريح
١١٨ شمعة وقلم أحمر
١١٩ أسلوب العدول في القرآن الكريم
١٢٠ الفستان الأزرق
١٢١ سيجار ولص ومأذنة
١٢٢ الحب المفقود
١٢٣ القيامة الوردية
١٢٤ كلمات متقاطعة بالشمع الأحمر
١٢٥ لماذا رحلت
١٢٦ جدال
١٢٧ التقارير المالية
١٢٨ موسم التوت
١٢٩ عبث
١٣٠ سلسلة المحاسب المتميز
١٣١ هل ستغفر لي
١٣٢ سفاح المدينة
١٣٣ ناروبري
١٣٤ حبيبة أمها
١٣٥ التيسير في علم التأسيس
١٣٦ همسات ونسمات
١٣٧ الملاك الأسود
١٣٨ ملكوت السلطانة
١٣٩ أنات عاشق
١٤٠ ساعة من الزمن
١٤١ زمان غادرنا
١٤٢ رقة النسائم
١٤٣ سبعة أحلام
١٤٤ في انتظار المد
١٤٥ نداء القلوب
١٤٦ درب الحكايات
١٤٧ ضجيج البحر
١٤٨ من تربة الورد خلقت
١٤٩ شهوات العقل
١٥٠ قطرات منثورة
١٥١ أكروفوبيا
١٥٢ خِدر مسلوب
١٥٣ دروب ملتوية
١٥٤ سوط الذكريات
١٥٥ الأخيذة (قضية رأي عام)
١٥٦ المأدبة
١٥٧ سيناء أرض العبور
١٥٨ الذكاءات المتعددة في تدريس الرياضيات
١٥٩ دكتاتورية الحب
١٦٠ الفراشات لا تسكن القبور
١٦١ تذكرة سفر
١٦٢ وخشعت قلوبهم
١٦٧ وطن الجومانجي
١٦٤ نموذج بايبي البنائي

جميع الحقوق محفوظة

رقم الإيداع
2018MO5486

الترقيم الدولي ISBN
978-9920-790-58-1

أنت الآن على وشك الدخول إلى عوالمي.
هل تعتقد أنك جدير بذلك؟!
لا يهم.
ولكن وجب عليك تحذيرك فأنت بعد قرأة كتابي لن تجد طريقك للخروج من عوالمي أبداً فأنت سوف تمسي أسيراً لخيالاتي. قد تكرهني وتلعنني كل صباح ستجعلني عدوك اللدود وربما الأوحد وقد أصبح كاتبك المفضل لثلاثين عاماً قادمة. لا وسط هنا.
إذا أردت أن تفهم قصتي فما عليك سوى إتباع الخيوط والعلامات التي تركتها لك في رسائل على هيئة كتابات حتى تصل إلى تلك القصة قصتي قبل الأخيرة.
وأما إذا بغيت المتعة فقط فلتذهب لتلك القصة مباشرة وأنا أضمن لك أن تحظى بجرعة هائلة من المتعة ولكن حينها ستعود لكتاباتي ساعيا لجمع علاماتي وستحاول ربط خيوطي ولكنك لن تتمكن من هذا أبدا وستتوه في متاهة خيالاتي وهذا جزاء من يخالف قواعدي.
أنت الآن داخل عوالمي إذا فلتخضع لرغباتي ولتخشع لإرادتي.
من أنا؟!
أنا الوجه الخفي لمجتمعك
أنا جانبك المظلم
أنا أحد ساكني الكهوف.

أحمد سلمي

ساكن الكهوف

١ السكارى

مشروع النشر الحر
الإصدار رقم ٩٨